الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الأوقاف والإرشاد

حدائق النمام
في الكلام على ما يتعلق بالحمام

تأليف القاضي شهاب الدين
أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني
المتوفى ١١٥١ هـ

تحقيق: عبدالله محمد الحبشي

منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد

٣

أهدي هذا الكتاب القيم الى أخي وعزيزي وصديقي وأستاذي الصنو الحبيب محمد إبراهيم محمد الرقيحي حفظه الله وزاده علماً وحلماً
أخوك إبراهيم محمد أحسن الروحي
١٤٤٥

حدائق النمام

في الكلام على ما يتعلق بالحمام

تأليف القاضي شهاب الدين

أحمد بن محمّد الحيمي الكوكباني

المتوفى ١١٥١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الأديب أحمد بن محمد الحيمي واحد من كبار المنتجين في التراث اليمني ، وكنا قد تحدثنا عنه في أكثر من مقال[1] ولما كنا بصدد الحديث عن مخطوطته عن الحمامات الفريدة في بابها . نشير هنا إلى نتف يسيرة من ترجمته ، فهو الأديب المؤرخ أحمد بن محمد الحيمي اليوسفي ينتهي نسبه إلى نشوان الحميري حسب قوله في كتابه (طيب السمر) ، وكان والده العلامة محمد بن الحسن الحيمي أحد أدباء اليمن المعدودين والمتأهلين لنشر العلم والدراسة وقد وصفه ابنه بالفصاحة والتمكن من اللغة والخطابة بل أنه ترك في هذا المجال مؤلفات جيدة ككتابه «عمدة الذخائر وتهذيب الأخلاق والسرائر» وكتاب «إنباء الأبناء بالطريقة الحسنى» وكتاب «معارضة مقامات الزمخشري» وله دراية تامة وقد جمع ابنه (ديوانه) في مجلد كبير اسماه «رعي الأب» ومن شعره يصف «حصن العروس» .

كأنما حصن العروس الذي ... قد لاح لي من بين أجناسه
كاس فتى القاه من كفه ... فانقلب الكأس على رأسه

وقد نشأ الابن في أحضان الأدب والعلم وكان والده يرعاه بمزيد من العناية فتفتحت مواهبه وهو لا يزال على قيد الحياة بل ربما وضع مصنفاته تحت نظر والده مقتبسا منه مواهبه الأدبية وشغفه بالعلم والأدب وفي أثناء غياب الابن

[1] انظر مجلة اليمن الجديد ١٤ رمضان / ١٣٩٣ هـ - ومجلة الأقلام سنة ٤٠٤

عن مدينة «شبام كوكبان» يجري بينهما المراسلة الادبية وقد كتب إليه والده وهو في حصن (المواهب) يسأله عن حال «مدينة كوكبان» وأهله فيجيبه الابن برسالة طويلة يقول فيها (نعم أيها الوالد أراك أطلت التنائي والبعاد وأعرضت في هذه الغيبة عن سلمى وسعاد والميل إلى الوطن أليق وأولى . .)

مؤلفاته

كنا قد أتينا على أكثر مؤلفاته في كتابنا (مصادر الفكر الاسلامي في اليمن) ونحن نشير هنا الى بعض منها :

١ ـ طيب السمر في أوقات السحر وهو من أهم كتبه الأدبية .

٢ ـ المفاخرة بين الروضة وبئر العزب .

٣ ـ نجوم الليل على غرر الخيل في الخيل وأدبه .

٤ ـ ديوان شعر .

٥ ـ سلافة العاصر .

وغيره . . . توفي الأديب الحيمي سنة ١١٥٢هـ .

كتاب حدائق النَّمَّام في ادب الحمام

هذا الكتاب فريد في بابه بل فريد في التراث اليمني إذ لم يؤلف أحد غير الحيمي في موضوع الحمام وادابه وإن كنا وجدناهم قد الفوا في موضوعات نادرة كالسياسة والتصنيف والبيطرة الى غير ذلك إلا أنهم لم يصنفوا مصنفا في الحمام وقد أراد الحيمي بتأليفه ان يسد هذا النقص في التراث اليمني ويساير به ركب التطور الفكري في الاثار الاسلامية للبلاد العربية وغيرها وكان موضوع الحمام أثيرا عند بعض العلماء في الحضارة الاسلامية فقد ألف فيه :

١ ـ ابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ كتاب الحمام وادابه .

٢ ـ عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ له (اداب دخول الحمام) .

٣ ـ محمد بن عبد الله الشبلي المتوفى سنة ٧١٢ له (اداب الحمام) .

٤ ـ محمد بن علي بن حمزة المتوفى سنة ٧٦٥ له (الالمام باداب دخول الحمام) .

٥ ـ عقود الكمام في متعلقات الحمام لابن الملقن .

٦ ـ رفع اللثام عن أحكام الحمام لابن طولون .

٧ ـ غاية الاحترام فيما ورد في الحمام للسابق .

٨ ـ النزهة الذهبية في احكام الحمام الشرعية والطبية للمناوي .

٩ ـ احمد بن العماد الاقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨ له (القول التام في اداب دخول الحمام) .

١٠ ـ محمد بن محمد بن الكركي المتوفى سنة ٨٣٥ له (كتاب في اداب الحمام) .

١١ ـ داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ له رسالة في الحمام .

وغيرهم ممن لا يحضرني اسمه الان(١) فجاء كتاب الحيمي ليكمل هذه السلسلة الفريدة في موضوع الحمام وربما تميز كتاب الحيمي بتوسعه وتركيزه على الناحية الأدبية وهي الناحية التي تكاد تخلو منها الكتب المشار اليها سابقاً .

وكتاب الحيمي أسماه مؤلفه بكتاب حدائق النمام في آداب الحمام وقد أشار اليه المؤرخ زبارة ولم يسمه مما دل على عدم اطلاعه عليه على شدة تحريه واستقصائه وخلا اسمه من سائر فهارس المكتبات العامة والخاصة ولم يذكره بروكلمان في كتابه«تاريخ الادب العربي» . وكنت أظن حتى زمن قريب أن هذا الكتاب من جملة مؤلفات الحيمي الضائعة حتى امكنتني المناسبات السعيدة من العثور على نسخة فريدة منه يعود زمنها الى عصر مؤلفها . فكان من المحتم التعريف بهذا المخطوطة القيمة ونشرها .

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب توسع الحيمي في الرجوع الى مصادره مما يدل على معرفة المؤلف بمظان موضوعه ومكان وجودها فقد نقل من سائر الكتب العلمية بما فيها تلك الكتب التي تخرج عن تخصص الأديب الحيمي فقد رجع الى

كتب الفقه والدين ونقل من كتاب «الاحياء» للغزالي (والتصفيه) للامام يحيى بن حمزة «والمراسيل» في الحديث لابي داود . «والبيان» في الفقه لابن مظفر (وزاد المعاد) لابن القيم «والانتصار» في الفقه ليحيى بن حمزة «وشرح الكفاية» للصيمري «والمحيط» للجويني وشرح «الابانة» للهوسمي «والتذكرة» للنحوي «والمستدرك» للحاكم «وشرح المهذب» و«معجم الفردوس» الى غير ذلك من الكتب الفقهية والحديثية ورجع الى كتب الأدب والتاريخ واللغة فنقل من كتاب «الكامل» للمبرد «والحماسة» لابي تمام «ومعاهد التنصيص» للعباسي (ومطلع البدور) للغزي «والمثل السائر» لابن الأثير و«طراز المجالس» للخفاجي ومن كتب اللغة «الاقتضاب» للبطليوسي «والقاموس للفيروز أبادي» ومن كتب التاريخ كتاب (النساء) لابن نعيم ومن كتب الطب كتاب «الوصول الى معرفة ما في العشق من الفصول وكتاب الارشاد في الطب وكتاب (الحاوي) للرازي وكتاب «القانون» لابن سيناء الى غير ذلك من الكتب المختلفة فأعطانا مادة واسعة من البحث تستحق العناية .

الحمام في الحضارة الاسلامية

يقول «متز» أن اتخاذ الحمامات في الحضارة الاسلامية من أحسن ما جاء به المسلمون من اليونان والرومان مع أن الاسلام أوصى بالنظافة ودعا إليها في أداء الواجبات الدينية وكانت تقام حمامات شخصية خاصة في البيوت ولم يعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل الحمام ويروى عن أبي هريرة انه قال صلى الله عليه وسلم (نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر بالنار) .

ويذكر الحيمي في كتابه أنه من شروط الحمام في بنائه أن تكثر التلافيف في دهاليزه ويحكم طبق أبوابه لتقوم الحرارة وينبغي أن يصان من الغبار والدخان ولا يفتح بابه من جهة الجنوب وان تكثر المنافذ وتستر بالزجاج والبلور لأجل الضوء وأن يفتح في زمن الحر لفصل ما انعقد من البخار وتلطيفه ويعاهده قيمة باصلاح ما فسد بالبخورات الطيبة وتنظيف وازالة ما مكث من الماء في الأبازير وهي الحيضان لئلا يفسد .

الصور في الحمام

وينقل الحيمي عن بعض الحكماء أنه ينبغي ان يكون في مسلخ الحمام أي الموضع الذي تخلع فيه الثياب صورا من الصور اللطيفة كمثل رسم عاشق ومعشوق ومثل رسوم البساتين والأشجار والازهار ورسوم الوحوش فان في مثل هذه الرسوم تقوية لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وفي هذه المناسبة يقول الأديب ابن مسعود الأندلسي :

لا تحسبونا لوجه الله نمدحكم فقارضونا باحسان وانعام
فقل ما وجدت ذوذ بلا علف إلا التصاوير في حيطان حمام

ويقول الحكيم بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك في (مفرح النفس) قد اجمع الاطباء والالباء ان النظر الى الصور الجميلة تفرح النفس وتنشطها وتزيل عنها الأفكار الردية وقد انكر الفقهاء وجود الصور في الحمامات فقال الامام أحمد بن حنبل اذا دخل الانسان الحمام ووجد فيه صورة ينبغي أن يحكها . وقال الغزالي ان الصور في الحمامات من المنكرات يجب ازالتها ويقول الامام يحيى بن حمزة يكفي في ازالة الصور في الحمام قلع رؤسها أو أرجلها لتشويهها عن خلقها الطبيعي ولا يمنع من تصوير الاشجار وساير النقوش فانها مباحة .

آداب الحمام

ومن مستلزمات الحمام أن يكون دافئاً أيام البرد معتدلا أيام الحما . وقد قال بعض الأدباء في حرارة الحمام :

رب حمام تلظى لتلظي كل وامق
ثم أجرى عبرات دمعها بالوجد ناطق

وفي الحمام توجد مصابيح لا تنطفىء ليلا ونهارا وفيها يقول الاديب الحيمي مؤلف الكتاب :

حمامكم وسراج فيه كاد بأن يطفى ونار وماء فاض فيض ندى

جوفي وقلبي ووجدي في محبتكم ودمع عيني الذي يجري بكم ابدا

ويقول ايضا :

انظر لمصباح حمام حللت به يا من غدا وصله بين الورى عيدي
كأنه القلب مني بين حر جوى صعدته بالتجافي أي تصعيدي

ومما يذكر في الحمام برودة مائه وفي ذلك يقول بعض الأدباء ..

قلت للقوم مذ دعوني الى الحمام كي تنتفي به آلامي
ان حمامكم لبرد حوضه هي محتاجة الى حمام

ويعاب في الحمام أيضا وخومه وقلة المياه وكثرة الزحام يقول بعض الأدباء :

وحمام سوء وخيم الهوى قليل المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود ولا للقعود به من قيام
حنياته عطفا كقسي وقطراته صائبات السهام

ويجب أن يكون على الحمام قيما يشرف عليه يقوم بحاجة من يريد ويكون الخادم حسن الهيئة ذو أخلاق لطيفة وقد تفنن الأدباء في وصف ذلك الحمامي المهذب بأشعار ونثر كثير . ومن اختصاص الحمامي أيضاً تنضيف الحمام مما يقع فيه من أوساخ وازالة ما أراقه المتحمم من السدر والصابون ويكون ترك هذه الأوساخ وغيرها على الأرض خطر كبير على المرتادين إذ ربما يقع فيها أحدهم وتنكسر أعضاؤه وقد اختلف الفقهاء بينهم على من تكون الضمانة في حالة وقوع مثل هذه الحادثة فقال الغزالي تقع على المتسبب في وضعها إذا كان في اليوم الاول وتقع على الحمامي إذا كان في اليوم الثاني . أما الامام يحيى بن حمزة فقال انها تقع على المستحم الذي تركه في الحمام وخرج .. وهل يضمن القيم على الحمام الأشياء الضائعة في الحمام فقال الفقهاء لا يضمنه إلا بشرطين أولها أن يضع الشيء أمام القيم وثانيهما أن يترك الاشياء في الموضع المعتاد لها فهنا يكون الخادم ضامناً لهذه الاشياء إذا فقدت وقد تندر الادباء بخادم الحمام فقال الأديب جعفر بن مطهر الجرموزي في خادم حمام كبير :

خويدم الحمام ذو لحية مثالها في الطول لا يشهر
قلنا وقد بللنا ماؤها ما ذاك الاعارض ممطر

وعلى المستحم ان يعطي الحمامي أجرته قبل الدخول في الحمام ويقول المؤلف انها جرت العادة في «صنعاء» ان الحمامي لا يستلم أجرته الا بعد الخروج وأثناء لبس ثيابه وهو الأوفق والاحسن لان بعض المستحمين من ذوي المزاج الصفراوي ممن لا يطيل الجلوس في الحمام ولا تطول خدمة الحمامي له فتكون أجرته على قدر خدمته ومنهم على العكس ممن يطول مكوثه وهكذا . .

وهذا يجرنا الى الحديث على آداب المتحمم فمن آدابه الحرص على ستر عورته وقد سأل الامام الشافعي عمن يكشف عورته في الحمام فقال لا تقبل شهادته ويجب عليه المحافظة على عدم رؤ ية عورة الغير حتى قال الامام الزمخشري من الحزم ترك الحمام لأنه لايخلو من كشف للعورات وان تكون نية المتحمم من الحمام تنظيف البدن من الاوساخ وان لا يدخل الحمام بين العشائين وقريب المغرب فانه وقت مكروه والأفضل دخول الحمام وقت النهار من اخره فيما عدا الوقتين المذكورين ويفضل المؤلف وقت الضحى لانها أحسن الأوقات للحمام ويقول لا شك أن وقت الحمام الضحى لان فيه من الانتعام ما لا في غيره من سائر الأوقات فان الانسان بعد خروجه منه في ذلك الوقت يجد من الأفراح والسرور ما لا يوصف وللحيمي في ذلك نظمٌ يقول :

يا صاح خل الراح في معزل أفلح من عن سكره قد صحى
أن كنت ممن يشتهي نعمة فبادر الحمام وقت الضحى

ومن آداب المتحمم أن يقدم رجله اليسرى عند دخول الحمام وان يدخل والحمام قليل من الناس أو الرجال المسنين حيث لا يخلو في أثناء كثرة الناس من كشف عورة أو سقوط إزار فيقع البصر على العورة المحرم النظر اليها ومن اداب المتحمم أن يذكر بحر الحمام حر النار الكبرى وان لا يكثر من صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة وان لا يسلم على المتحممين أثناء تحممهم لأنهم يكونون مشغولين بالتنظيف وان لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن .

ومن آداب المتحمم أنه متى فرغ من الحمام أن يخرج تدريجاً بشرط تبريد أطرافه بالماء البارد وأن يشكر الله عند الفراغ من الحمام . . ومن مستلزمات الحمام بعد الفراغ منه أن يمكث مدة في المسلخ عند لبس الثياب ويتكي قليلاً وينظر الى الرسوم والصور على الجدران فانها من المنعشات للذهن وان يتناول أثناء بقائه في المسلخ شيئاً من الطيب كالمسك والعنبر والعود فان الرائحة الطيبة تنعش الجسم وأن يلبس الثياب اللطيفة الناعمة .

الحمام في الطب العربي

ركز الحيمي على فوائد الحمام الطبية وهو في الأصل وضع للتنظيف من الاوساخ والدرن والعفونات والقمل والحمام ينفع أصحاب الامزجة الحارة وسائر الأمزجة اذا استعمل على قدر معين وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويدر البول ويحسن الطبيعة . . وينظف الوسخ وينضج النزلات وينفع من حميات يوم ومن الدق والربع والبلغمية وهي أسماء حميات وينفع من وجع الجنب والصدر وينضن الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجه بحرارته ويرطب الأبدان اليابسة الخشنة كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبي .

ومع فوائد الحمام الكثيرة فان له مضار اشار اليها الاطباء القدماء فمن مضاره انه يغير مزاج المتحمم إذا كان جائعاً خالي البطن فلا بد أن يأكل ما يسد الرمق وأفضله ان يكون عند اخر الهضم بحيث أن يخرج منه وهو في حاجة إلى الأكل ومن مضار الحمام انه يسهل انصباب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة ويرخي الجسد ويضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية ويسقط الشهوة .

ويقول ابن سيناء الحمام على امتلاء البطن يولد سدد في الكبد والعروق ويورث القولنج ويولد الرياح ويولد الدماميل في الجسد ولا يجب أن يدخله الانسان على الجوع فهو يورث ـ الصداع بالأبخرة وهيجان الحرارة والرعشة بالتحليل وينبغي أن تكون أفعال الحمام منه معتدلة لا بالافراط ولا بالتفريط بل يجب أن يكون على الحالة المتوسطة .

الحمام عند الفقهاء

الحمام من جملة الاشياء التي نص الفقهاء على ضرورة وجوبها في المدينة الكبيرة وهو من جملة سبعة أشياء يؤكد العلماء على ضرورة وجودها وقد نظمها سلف المؤلف العلامة محمد بن الحسن الحيمي فقال :

المصرفي صحة التجميع مشترط فاسمع حقيقة ما يحويه تفصيلا
وال وقاض طيب جامع وكذا سوق ونهر وحمام كما قيلا

واختلف العلماء فيما اذا أوقعت نجاسة في خزان الحمام المحتوي على الماء هل يتنجس الماء أم لا فقالوا ان الماء لا ينجس الا اذا تغير لونه وطعمه .

ودخول الحمام مستحب عند الامام الشافعي وهو مباح للرجال شرط التستر وقد صح عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم دخلوا حمامات دمشق واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يؤثر عنه أنه دخل حماما وقد سئل أبو هريرة عن الحمام فقال نعم البيت الحمام يدخله المسلم فيسأل الله تعالى الجنة ويستعيذ من النار .

استحمام النساء

اختلف الفقهاء في استحمام النساء فقال السمعاني ان الحمام مكروه للنساء لما بني أمرهن عليه من المبالغة في الستر ولما في وضع ثيابهن في غير بيوت الأزواج من الهتك ولما في خروجهن من الفتنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابأس بالحمام للمرأة إذا كانت نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من السقم وكانت النساء يدخلن الحمام في عصر ابن الأمير حتى انه قال ان النساء أشد تهالكا على الحمام من الرجال .

الحمام عند الأدباء

ونمضي في فصول الكتاب الممتع الطريف فيحدثنا عن نوادر الأدباء في الحمام فهذا الأديب محمد بن سكره يدخل الحمام فيسرق حذاؤه فيه فيقول :

اليك أذم حمام ابن موسى وان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى ليحفى من يطيب به ويعرا
ولم أقعد به يوما ولكن دخلت محمداً وخرجت بشرا

يشير الى انه دخل واسمه محمد وخرج وهو بشر الحافي الصوفي الشهير

ويفضل بعض الادباء حرارة الحمام على برودته .

أدباء صنعاء والحمام

ومن أطرف ما في الكتاب ايراد المؤلف نصوصاً كثيرة من شعر أدباء اليمن في الحمام والمتحممين فمن شعر الأديب أحمد بن ناصر المخلافي في تضمين بيتي ابن الوكيل :

ولم أدخل الحمام من أجل حرة وكيف التذاذي بالنيار النوافح
ولا جئته أبغي اصطلاء نياره وكيف ونار الشوق بين الجوانح
ولكنه لم يكفني فيض عبرتي على ماضيات من ذنوب فوادح
ولما رأيت العين لم يكف وبلها دخلت لابكي من جميع جوارحي

ودخل الحمام مع الأديب ابراهيم بن صالح الهندي رجلان احدهما يسمى الكبسي والاخر مطهر فقال :

في صدر ذا الحمام مغرم حبكم قد صده الكبسي أن يتكبسا
ومطهر بين الصبابة والصبا أضحى ببول ذوي الغرام منجسا

وأهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب هو كثرة شعر المؤلف الاديب الحيمي في الحمام والمتحممين ونحن هنا نقتطف نماذج مما قاله في ذلك :

لي حبيب مال في الحمام اذ ذاب في الصدر بحر اليرمع
ومياه الحوض تجري حوله دائما كالنهر لما تقطع
ايش هذا الحر والماء معا ؟ قلت ذا قلبي وهذا ادمعي

وقوله متغزلا في مليحة متحممة :

وبيضاء قد عانقتها وضممتها بصدر من الحمام ينفق عن نيار

وأعلنت صمي حين أسررت عشقتي ولا قبح في جهري بهذا واسراري
على أنه لا عار فيها محقق لصب بها منصب مدمعه الجاري

وقوله :

أعاين في الحمام غانية لها من الرشح در وهو في اذنها قرط
وقد أرسلت ليل الذوائب واجفا على أنه الجعد المصفف والسبط
اذا امشطتها قينة بعد قينة يضوع مسكا من ذوائبها المشط

وأشعار من هذا القبيل كثيرة .

حمامات صنعاء

وبجانب ميزة الكتاب الأدبية حول الحمامات نجد المؤلف قد دون ذكر عدة اسماء من أسماء حمامات صنعاء واليمن عامة ومن هذه الحمامات ما هو قائم الى الان منها .

١ ـ حمام سبأ من حمامات صنعاء والمناسبة في ذكره انه دخله الاديب زيد بن يحيى بن الحسين من الادباء المعاصرين للمؤلف وكان زمن برد شديد فقال الاديب المذكور :

لله حمام له منة على قد نلت بها المطلبا
اصبحت مهموما لبرد الشتاء ففرقت همي (ايدي سبأ)

٢ ـ حمام شكر ذكره المؤلف وقال عنه شعرا :

قد دخلنا حمام شكر فملنا لنعيم حواه من فرط سكر
وشكرناه بالذي كان منه ولهذا يقال حمام شكر

٣ ـ حمام الطواشي من الحمامات القائمة وكان به مغطس عميق فقال المؤلف :

انما المغطس قد راق بحمام الطواشي
فلكم كف من الالام جما وطوى شي

حمام الجلا وهو قائم الى الآن ذكره المؤلف في كتابه وكان قد دخله الاديب العلامة محمد بن اسماعيل الامير فقال يذمه شعراً :

دخلت حمام به كل زحام وامتلا
صدع رأسي فلذا سمي بحمام الجلا

٥ ـ حمام السوق ذكره المؤلف في كتابه .

٦ ـ حمام الميدان ، يقول المؤلف انه قريب القصر وهو قصر السلاح . وله في مدحه قصيدة .

٧ ـ حمام الحميدي ذكره المؤلف .

مخطوطات الكتاب

كان المؤلف العلاَّمة أحمد بن محمد الحيمي قد كتب كتابه هذا في فترة مبكرة من حياته ، لعلها تعود إلى ما قبل سنة ١١٤٠ ثم تجمعت له بعد ذلك معلومات متنوعة تتعلق بالحمام ، فأحب أن يدرجها كتابه فما كان منه إلا أن أعاد تأليفه مرة أخرى ، فهو بهذا أشبه بالمعاصرين حين يضعون لكتبهم طبعة أخرى يقال عنهـا مزيدة منقحة .

ومن هنا نجد للكتاب صورتين : واحدة موسعة ، واخرى مختصرة .
ومن سوء الحظ أن « تنشر مخطوطات الكتاب في صورته الأولى المختصرة» .

ولقد وقفنا على مخطوطتين من الكتاب في مرحلته الأولى ولم نقف إلا على مخطوطة واحدة مبتورة من الكتاب في مرحلته الثانية الموسعة .
ومع ذلك فالكتاب يتفق في صورتيه الأولى والثانية في كل ما جاء فيهما من معلومات وعبارات، ويختلفان في الزيادات التي استحدثها المؤلف بعد ذلك في المرحلة الثانية . وهي زيادات كثيرة ربما بلغت إحداها الصفحتين أو أكثر .
ومنذ عثرت على مخطوطة الكتاب ، رحت أتتبع بقية مخطوطاته ، حتى تمكنت من العثور على مخطوطة في مكتبة هولاندة وأخرى في المكتبة التيمورية .
وسنتحدث عن هذه المخطوطات فيما يلي :

١ ـ المخطوطة الاولى «ح»

هي مخطوطتي وهي عبارة عن أوراق لا يضمها مجلد وهي تشتمل على أكثر ما في الكتاب . وميزتها على الرغم من نقصها انها النسخة الوحيدة التي وصلتنا من الكتاب في صورته الاخيرة الموسعة .

وهي جيدة الخط يغلب عليها الضبط وقد كتبت في حياة المؤلف بقلم النّاسخ اليمني المشهور في وقته «المصلي» وذلك سنة ١١٥٠ أي قبيل وفاته بسنة .

(٢) المخطوطة الثانية «هـ»

هي من النسخ الخزائنية الجميلة وقد كتبت برسم الأديب الوزير إسماعيل بن محمد فايع المتوفى سنة ١١٨٨ هـ
وعليها خطه .

وتتميز بجمال الخط والشكل مع الاشارة إلى المهمل والمعجم من الحروف .

وهي بخط جيد فرغ من كتابته في يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١١٤٢ اي قبيل وفاة المؤلف بتسع سنوات .

وهذه المخطوطة من مقتنيات مكتبة هولندة . وقد تفضل القائم عليها ببعث ميكروفلم منها فقام رئيس مصلحة المساحة الاستاذ الدكتور محمد عبد الملك العلفي بمعاونة الاخوين عبد الله احمد المهدي وكيل مصلحة المساحة والاستاذ عبد الملك السوسوة بتكبيره على ورق صقيل لماع

٣ ـ المخطوطة «ت»

هي نسخة خزائنية أيضا كتبت بعناية الوزير علي بن أحمد راجح الكمينعي .

وهي كسابقتها جيدة الخط مشكولة . وقد فرغ منها بعد السنة التي كتبت فيها نسخة هولندة في ٢ جمادى الأولى سنة ١١٤٣ وتقع في ٧٧ لوحة .

وكانت هذه المخطوطة من أسباب تأخير تحقيق هذا الكتاب وتقديمه للطبع وذلك بعد علمي بوجود هذه المخطوطة في مصر ، فكتبت الى القاهرة ، فلم أتلق جواباً حتى قيض الله لي الأخ الصديق الوفي عبد الرحمن عبد الواحد شجاع فقام بتصويرها على حسابه وبعثها لي . وكذا قام الدكتور سيف النصر بتصويرها أيضاً لي فجزاهما الله خيرا .

وهذه المخطوطة من مقتنيات المكتبة التيمورية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان الحمام من النعيم المحدث فينا ، فطالما أصح الأجساد ونفا عنها داء دفينا .

فالحمد لله على نعمه منه حديثه وقديمه وكم له من أياد تهمل ولا كهمول ديمة ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الاكياس وتضيق عنها خزائن الصدور من السادة الأكياس . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي وضح به من الإسلام مبينه ، بعدما شد مئزره ، في نصرة الحق وعرق بالكدح فيه جبينه ، ؛ ودارت أقداحه مملوة بشراب قراح ، وهيهات لا والله لقد تنزهت عن شراب الراح ونبعت أنابيبه وأمتلأت حياضه وتضلعت بالعدل ركاه ودلاه ، فسقيت بها رياضه ، وزال بصابون دينه وسخ الكفر ، من الاجساد ، وخضبت به كف الإيمان مسرّة وفرحاً لما حزن به الأعداء والحساد ، صلى الله عليه وعلى آله المصعدين لأنفاس المعاندين بالزفرات المفيضين على خدودهم كافاضة العرق من اجسام المستحمين متسابق العبرات ما انتعم مستحم بصدر حمّام وما دار في المقامات كلام المقامات فقيل حكى الحرث بن همام(١) :

قال الحقير في المقال المعتقل من الذنوب في أوثق عقال أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي الكوكباني عمر الله بأيدي توفيقه من أعماله المباني ، هي لا تخفاك نعمة الحمام الموجبة للشكر الجديرة بأن لا تبرح بين الخاص والعام على ذكر . وقد ورد فيه وفي خادمه وداخله ما لا يخفى من الكلام العلمي ومسائله . وجاء فيه ذكر فوائد طبية . ونظم الظرفاء فيما يتعلق به عقود جواهر أدبية وغير ذلك مما ترتاح إليه النفوس وتضحك الثغور للفرح به بعد العبوس .

وقد أحببت أن أؤلف من ذلك مقتضبا ، وأجمع منه كلاما مقتربا ، مما يتمتع به الندامى(٢) قبل دخولهم الحمام أو بعد الخروج وقد انبسطت نفوسهم في

---

(١) شخصية وهمية جعلها الحريري راوية مقاماته

(٢) ت الندمى

الرياض المونقة والمروج ، فجمعت هذه الفصول ، وعلمت أن بها يتم الى المراد الوصول ، وأفردت ذلك تأليفا وزدت أرديته النفيسة تفويفا . وسميته «حدائق النَّمَّام في الكلام على ما يتعلق بالحمام»

والحمد لله الذي ألهمنا إلى ما أهم ، وأسأله[٣] أن يقينا في هذه الدنيا موجبات الغم والهمّ إليه به وبرسوله أتوسل وبمحبتهما[٤] إلى نيل المراد أتوصل .

(٣) ت ونسأله

(٤) هـ وبصحبتهما

مقدمة

المراد بالنَّمَّام في تسميتنا لهذا الكتاب اللطيف والتمثال الحسن الظريف بحدائق النمام هو نَبْتٌ كالنعنع إلاَّ أنه أشد منه بياضاً وورقه كالشّذاب وقيل هو نوع من الريحان [ومنه المستنبت ومنه النابت ويزرع فيما عدا الشتاء ويعظم جدًّا بالسقي وبعر الماعز وله بزر كا[1]]لريحان لكنه أصْفر. عطري قوي [الرايحة[2]] سمي تماما لطيب رائحته كأنه ينم على حامله . وكثيرا ما يستُنْبَتُ في الحدائق والرياض ولذا أضفنا الحدائق في هذه التسمية إليه .

وقد ذكره الأدباء في أشعارهم ووَرّوا به عنَ النمام الذي هو رافع الحديث [بين القوم[3]] على جهة الإفساد والشر وجاؤ وا في ذلك بعجائب وتواردوا فيه على الغرائب

قال سيف الدين بن قزل المشد[4] رحمه الله تعالى :

ومجلس راق من واش يكدره ومن رقيب له باللوم إيلام[5]
مافيه ساع سوى الساقي وليس به [على الندامى سوى الريحان نمام][6]

---

(١) ساقط من (ت)

(٢) ساقط من (ت)

(٣) ساقط من (هـ)

(٤) هو سيف الدين علي بن عمر بن قزل التركماني البار وقي المصري ولد بمصر سنة ٦٠٢ ونشأ بدمشق وتولى فيها شد الدواوين للملك الناصر يوسف بن عبد العزيز توفي بسفح قاسيون سنة ٦٥٦ «انظر فوات الوفيات ج٢ ص ٧٩ والنجوم الزاهرة ج٧ ص ٦٤ والاعلام ج٤ ص ٣١٥»

(٥) رواية الصفدي في فض الختام ص ١٣٩ لهذا الشطر :

ومن رقيب وبعض اللوم إيلام

(٦) جاء هذا الشطر في ح «هـ» ممسوحا فأثبتناه من فض الختام ص ١٣٩ وكذا ورد في خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ٢٧٦

وقال صفى الدين الحلي[٧] رحمه الله تعالى :

أقـول وطـرف النرجس الغضّ شاخص إلي وللنمّام حولي إلمام

أيا رب حتـى في الحدائـق أعين علينا وحتـى في الرياحـين نمّام[٨]

وقال الأديب يوسف بن لؤلؤ[٩] الذهبي رحمه الله تعالى :

واكتـم أحـاديث الهـوى بيننا ففـي خلال الـروض نمام[١٠]

وقال العلامة شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي[١١] صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس رحمه الله تعالى في بعض قصائده التي يذكر بها الشام المحروس :

ليس الغـرام بهـا لأن نسيمها دانٍ وثغـر رياضهـا بَسَّام

بل للـديار إذا الشبـاب مطاوع فيهـا وأيام الزمـان وسام

إذ لا تخـاف بهـا الوشـاة وحولنا فيهـا العيون وعندنـا النمام[١٢]

وقلت أنا ، وفيه القول بالموجب[١٣] :

يقـول الباغضـون وقـد رأوه يميل لعـاذل يبغـي شتاتي

---

(٧) شاعر مشهور ولد بالحلة من أعمال الكوفة سنة ٦٧٧ ومدح ملوك الدولة الأرتقية بماردين ثم رحل الى القاهرة سنة ٧٢٦ ومدح الملك الناصر . توفي سنة ٧٥٠ ببغداد «انظر الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٦٩ والأعلام ج٤ ص ١٨»

(٨) خزانة الأدب ص ٢٦٧ وديوانه ص ٥٥٩

(٩) هو يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي عرف ببدر الدين من شعراء الدولة الناصرية بدمشق عرف بمقطعات شعرية ظريفة توفي سنة ٦٨٠ «انظر الأعلام ج٨ ص ٢٤٦»

(١٠) هذا البيت اورده الحموي في خزانة الأدب ص ٢٦٧ من ابيات اولها :

باكر الى الروضـة تستخلها فثغرهـا في الصبـح بسام

(١١) هو كاتب الانشاء المعروف ولد بحلب سنة ٦٤٤ وبرع في كتابه الانشاء توفي سنة ٧٢٥ انظر ترجمته في فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦٤ والدرر الكامنة ج٨ ص ٩٢ وغيره

(١٢) لم أقف على تخريج هذه الأبيات ،

(١٣) القول بالموجب عند أهل البديع هو رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه وللبلاغيين توسع في تعريفه (انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ١١٦ وما بعدها)

نراه عن ودادك مال ظلما ... إلى النمام قلت من النبات

وقلت أنا أيضا في الإستخدام بالضمير[١٤] :

بعثت لخليّ من رياحين روضتي ... بما كنت فيه قَبْلَ أوْلَيْتَهُ منعا
أهاديه بالنَّمَّام كيما يرى له ... بما قال زوراً في مَرْتَبَةٍ شَنْعا

اعلم أننا سنتكلم على الحمام في هذا المقتضب ، بما تراه إن شاء الله تعالى ونتعرض لذكر ماله به علاقة ، مما يقتضيه المقام ، ويستوجبه الحديث فإنه ذو شجون . وقد جئنا بما لا مزيد عليه ، ونقَعْنَا غلة الصادي بما كفى وشفا وإن أعرضنا عن إيراد شيء مما كان اللأيق بنا إيراده فلقصد الإختصار والمقصود في ذلك كله ، أن نأتي من كل طرف له به علاقة بنموذج[١٥] كافٍ وتمثال واف ، وليس بشرط إستقصاء ماله به تعلُق ، مع إنَّا بحمد الله تعالى قد جئنا من ذخائر العلوم ، ونفائس المنشور والمنظوم ، والنكت الأدبية ، والعجائب الطبِّية والحكايات اللائقة ، والمتحفات الرائقه . بما لو فُتِّشَت في طلب مثله المؤلفات القديمة والحديثة لما عثر فيها المفتّش على ما يعثر عليه في هذا المختصر الذي ألفناه والمقتضب الذي خَلَّفناه .

وقد رتبت فيه الكلام حسبما تخيَّلَتْه الواهمة واستصلحته الفطنة التي أرجو أن تكون سالمة . فنقول :

(فصل في الكلام على الحمام)

الحمام بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم الأولى ، معروف وهو وضع صناعي مرّبع الكيفيات إختياراً لمطلق التدبير ، وهومذكرٌ وقد حكيُ فيه التأنيث سُمِّي حمَّاماً لما فيه من الماء الحار ولأنه يعرّق ، أخذ له هذا الإسم من الحميم وهو الماء الشديد الحرارة . ومنه الحمّة بفتح الحاء والميم المشدَّدَة وهي عين فيها ماء حار ينبع يشفى بها العليل وأخذ له هذا الاسم أيضا من العرق والعرق يسمى حميماً على التشبيه يقال استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم ، ثم كثر حتى استعمل الاستحمام في كل ماء :

(١٤) هو عند البديعيين إطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم تعيد عليه الضمير تريد به المعنى الآخر «خزانة الأدب ص ٥٢» (١٥) هـ نموذج

ولأجل أخذ اسم الحمام من الحميم قلت أنا :

أقــولِ بِصــدْرِ حمــامٍ أويْنا إليه اسْمــع فديتــك يا نديمي
عجبــت لطيب حَمَّـام نعمنا به وهــو المعــدُ من الحمِيْمِ

وقلت أيضا :

أيا نازلا حيّنا بادِرِ الدَّ باس[1] ففيه نعيم مقيم
فحَمامنــا للــذي قد أتا هُ غريب الــدّيار صديق حميم

قال صاحب القاموس «الحمام كشدَّاد الديماس[2] مذكر جمعه حمامات . ولا يقال طاب حَمَّامك إنما يقال طابت حِمَّتُك بالكسر وحميمك أي عرقك[3]» . انتهى كلام صاحب القاموس رحمه الله تعالى/ ومن أسماء الحَمام الدّباس بالدَّال المهملة والباء الموحدة والسّين المهملة .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في صفة عيسى عليه السلام أنه قال : لقيت عيسى عليه السلام ، فنعته ، فاذا هو ربعة أحمر كأنما خرج من دبّاس[4] يعني حَمَّاما[5] .

ومن أسماء الحمام أيضا : الديماس

ومن أسمائه البلاّن بفتح الباء الموحدة وتشديد اللام بعدها ألف ونون جمعه بلانات .

قال ابن عمر رضي الله عنه الحمام من النَّعيم الذي أحدثوه[6] .

وأول من دخل الحمام ووضعت له النورة والصابون سليمان بن داود عليهما

(١) الدباس : سياتي شرحه للمؤلف .

(٢) من اسماء الحمام .

(٣) القاموس ج٦ ص ٦٠ بشرحه تاج العروس .

(٤) رواية البخاري ديماس وفسره بالحمام «فتح الباري ج ٧ ص ٢٩٣» .

(٥) انظر صحيح البخاري كتاب احاديث الأنبياباب قوله تعالى «واذكر في الكتاب»

(٦) انظر مثل هذا في معالم القربه ص ٢٤١ .

الصلاة والسلام فلما وجد حرها قال أوه من عذاب الله[٧] . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أول من اتخذ «الحمامات» سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ولما ألزق ظهره بالجدار قال أوه من عذاب الله عز وجل أخرجه الطبراني عن الأشعري مرفوعا .

وقيل أن أول من وضعه الأستاذ كالبيمارستان قاله ابن جبريل[٨] وأندر وماخس . صاحب الترياق وكان سبب إستنتاجه لوضعه أنه دخل شخص عار فوقع على ماء جار من الكبريت وبه تعقيد العصب فزال منه فأخذ الحكيم من ذلك أن تسخين الماء في موضع يسخن فيه الهواء جيد ، فأحدث الحمام انتهى .

ومادة الحمام العناصر الأربع فيصح إن صحت ويفسد إن فسدت وقد قسم الحمام إلى ثلاثة بيوت كل بيت أسخن من الذي قبله لئلا يكون الانتقال من الحار إلى البارد فجأة والبيت الأول مبرد رطب والثاني مسخن رطب والثالث مسخن مجفف ولذلك يكون الانتقال من بيوته على التدريج

روى عن عطا أن ابليس لعنه الله تعالى قال يارب اخرجتني من الجنة فأين بيتي فقال الحمام قال فأين مجلسي قال السوق قال فما قراءتي قال الشعر

وعن عبيد بن عمير عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لربه يارب أهبطت آدم وقد علمت أنه سيكون له ولذريته كتاب ورسل فما كتابهم ورسلهم قال الله عز وجل رسلهم الملائكة والنبيون منهم وكتبهم التوراه والإنجيل والزبور والفرقان قال فما كتابي قال كتابك وقرآنك الشعر ورسلك الكهنة وطعامك ما لم يذكر إسم الله عليه

---

(٧) اخرجه البيهقي في السنن والعقيلي في الضعفاء والطبراني وابن عدي عن أبي موسى (انظر الفتح الكبير ج ١ ص ٤٧٠) .

(٨) في «هـ» واندر وما حسن والتصحيح من تذكرة داود ج ٢ ص ١١٩ وانظر ترجمة المذكور في تاريخ الحكماء للقفطي ص ٧٢ .

وشرابك كل مسكر وصدقك الكذب وبيتك الحمام ومصائدك النساء ومؤذنك المزمار ، تفرد به يحيى بن صالح .

وأفضل الحمامات مطلقا الحمام العالي المرتفع في بنائه لئلا[9] تنحبس الأنفاس المختلفةفيفسد بها وينحل الهوى فيه بسرعةبعد التحلل* والإنبساط، ويلطف البخار الصاعد إلى الأعلا كما نشاهده من فيه الإنبيق[11] فان إتسع مع ذلك كان أقوى في تفريق الهوى وتلطيفه وقبوله التكثف[12] فيما ذكر ولا سيما ان كان الحَّمام قديم البناء طويل العهد لأن الجديد فاسد بأبخرة الأحجار والطين وعفونة ما يتسرب من الماء في أجزائه وبرده . وحدُّ القدم فيه أن يكون له من يوم بُني سبع سنين فما فوق فإنه يكون غاية سيما إذا كان ماؤه عذبا وهواه لطيفا ومزاجه محكم الصنعة[13] .

قال جالينوس أفضل الحمام ما كان قديم البناء كثير الأضواء مرتفع السقف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة حرارته بمقدار الدَّاخل إليه وكان وقوده بماليس له كيفية ردّية .

وقال بعضهم الحَمام النافع على سبيل الإجمال هو الحمام المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء الذي أضواه كثيرة مشرفة وفناؤه واسع . انتهى كلامه .

---

(٩) كلمة مهملة في «هـ» والتصحيح من تذكرة داود ج ٢ ص ١١٩ و (ت) (*) في تذكرة داود التحلخل .

(١٠) الإنبيق الة للتقطير «فارسية» وفي تذكرة داود قبة الانبيق .

(١١) داود : التكيف .

(١٢) انظر هذا الكلام في تذكرة : داود ج ٢ ص ١١٩ .

(١٣) (هـ) حيظانه .

وأفضل الحَّمامات أيضا ما أشتمل داخله على البيوت الكثيرة الرطوبة اوّلا فالحرارةوأن تكون حيضانه مستديرةعميقةوأن تكون كثير القدور لإختلاف المياه حسب المزاج وينبغي أن يفرش بالرّخام لينعكس الماء وينحل ونحوه من الأجسام الصَّلبة-الشَّديدة خصوصا إذا كان مفتوح الأزقة كحمامات الرّوم هكذا نص عليه الحكماء(١٤) .

والذي أقوله أنّه ينبغي ، أن يفرش الحَّمام بأحجار الرخام ، إذا لم تكن تلك الأحجار ملسا يزلق بها الداخل ، فإن كانت كذلك فهومعدود من المنكرات فتجب إزالته وقلعه .

قال الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه (الاحياء) عند ذكر منكرات الحمام مالفظه ونصه : ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحَّمام ومجاري مياهها حجارة ملس يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فانه يفضي إلى السقطة وقد تؤدّي السقطة إلى إنكسار عضو أو إنخلاعه(١٥) انتهى .

وقال الإمام يحيى بن حمزة عليه السّلام(١٦) في كتاب «التصفية» عند ذكر الخمس الصور من منكرات الحمام مالفظه :

الصورة الرابعة : أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملس مزلقة يزلق فيها الغافلون فما هذا حالُهُ منكر يجب تغييره وقلعه وإزالته . وينكر على الحمامي إهماله فإنّه يفضي إلى السقوط وقد يؤدي السقوط الى إنكسار الرجل واليد . انتهى كلام الإمام يحيى رضي الله عنه .

---

(١٤) داود ج ٢ ص ١٢٠ .

(١٥) الاحياء ج ٢ ص ٣٣٤ .

(١٦) سيأتي دكره وكتابه في تعاليقنا قريبا .

وأما فرش الأحجار الرخوة في الحمام وكذلك التراب والخشب وجعل[١٧] اللبابيد على أبوابه ولبس الثياب فيه فرديٌّ ، لا يجوز إستعماله بحال لفساد البخار حينئذٍ وعودة على الأبدان فإن جعل من الخشب ، فينبغي أن يكون من الازدرح[١٨] ونحوه لقلة قبول ذلك حبْس البخار وان تكثر الميازيب والتلافيف في دهاليزه ، ويحكم طبق أبوابه لتقوم الحرارة ، وينبغي أن يصان من الغبار والدخان والتبخر بنحو كسَّاحات الطريق خصوصا إذا كانت القدور قديمة ، ولا يفتح إلى الجنوب ، وأن تكثر فيه المنافذ ، ويستر بنحو البلوُّر للضوء ويكشف وقت الحرارة لفصل ما انعقد وتلطيفه ويعاهد بالإصلاح إذا عتُق والبخورات الطَّيِّبه والتنظيف وإزالة ما مكث من الماء ، في الأبازير - وهي الحيضان - لئلاَّ يفسد فيضر[١٩] .

قال الحكماء[٢٠] وينبغي أن يكون مسْلخُ الحَمام - أي مخلعه الذي تخلع فيه الثياب عن الأبدان - لطيف الصنعة واسع الفضاء وأن تكون فيه التصاويْرُ من الصور اللطيفة الأنيقة [مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين فيها[٢١]] أشجار وأزهار وكالأشكال الحسنة ونحوها [ومثل صور الوحوش فإن مثل هذه التَّصاويرِ تقوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية[٢٢] فلأجل ذلك تحصل الراحة بالنظر فيها عند الإتكاء وقد حلَّل الحَّمام القوى لأن المسلخ إذا كان كذلك كان موافقا للقوى الثلاثة لأن التَّحليل واقع فيها بما فيه مما ذكر فالأشجار ونحوها للنفسّية ، والأسلحة للحيوانية ، والثمار للطبيعية ، فلا شك

---

(١٧) من هنا ينتهى النقص من نسخة (ح) .

(١٨) في المنجد ص ٩ الأزدرخت شجر خشبه جيد «فارسية» فلعله المقصود به هنا وفي داود الأردوج .

(١٩) في «ح» التاذيب وكذا في (ت) .

(٢٠) انظر هذا الكلام في تذكرة داود ج٢ ص ١٢٠ .

(٢١) ساقط من «هـ» و«ت» . وانظر هذا في مطالع البدور ج٢ ص ٧

(٢٢) ساقط من «هـ» و (ت) .

أن الحمام أخذ من القوى[٢٣] حلل بلا لبس ، خصوصا إذا طال المقام فيه والنَّظر في الأشياء المذكورة منعش مقوٍّ هكذا قال الحكماء .

وبذكر التصاوير في الحمام ذكرت قول ابن مسعود[٢٤] الأندلسي رحمه الله تعالى :

لا تَحسبُونا لِوَجهِ الله نمدحكم ... فَقارضونا بإحْسانٍ وإنعامِ
فَقَلّ ما وجدتْ ذَودٌ[٢٥] بلا عَلَفٍ ... إلاّ التصاويْر في حيطَان حَمَّامِ

قال الحكيم بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك[٢٦] في (مفرح النفس)[٢٧] : قد أجمع الحكماء والأطباء والألباء الى ان النظر الى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الأفكار السود ايه [ويقوى القلب قوة لا مزيد عليها بسبب إزالة الأفكار الردية]* عنه قالوا فإن تعذر حصول النظر إلى الصور الجميلة فليكن إلى صورة جميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب أو في الهياكل أو في القصور[٢٨] « . . . » أو في الحمامات . وقد ذكر هذا جميعه الحكيم محمد بن زكريا الرازي[٢٩] وبالغ في ملازمة فعله لمن يجد في نفسه أفكاراً رديّةً ووساوِس فاسدةً غير موافقة للنظام الطبيعي . قال : فإن الصور الجميلة إذا جمعت إلى

---

(٢٣) في هـ «محلل» .

(٢٤) هو ابو عبد الله محمد بن مسعود عده الحجاري من مشهوري شعراء المائة الخامسة . وهو شاعر ماجن ظريف كثير الهزل انظر الذخيرة ص ٦٦ ط القاهرة سنة ١٩٤٢ . المغرب ج ١ ص ١٣٤ . مسالك الأبصار ج ١١ لوحة ٢٤٠٠ وانظر البيئة الأندلسية ص ٥٣٧ .

(٢٥) الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثة ولا تقل عن ثلاثة .

(٢٦) ساقط من «هـ» و «ت» وانظر هذا في مطالع البدور ج٢ ص ٧

(٢٦) هو مظفر بن عبد الرحمن بن ابراهيم البعلبكي ، كان أبوه قاضيا ببعلبك ونشأ بدمشق ثم خدم بيمارستان الرقة ثم عاد الى دمشق فولاه الملك الجواد رياسة الاطباء توفي بعد سنة ٦٥٠ «انظر طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢٥٩ والأعلام ج ٧ ص ٢٥٦ ومعدية العارفين ج ٢ ص ٤٦٤» . (*) ساقط من الأصل فأكملناه من مطالع البدور ص ٧

(٢٧) في هدية العارفين «مفرح النفس في ذكر الأدوية والأشياء القليلة»

(٢٨) كلمة مطموسة في (ح) وفي المطالع ص ٧ «الشريفه»

(٢٩) طبيب مشهور وفاته سنة ٣١٣ هـ .

صورتها حسن الأصباغ الملوّنة من الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض مع نسبة المقادير في أشكالها فإنها تنفي الأخلاط السوداوية وتزيل الهموم الملازمة لنفس الإنسان وتزيل الكدورة عن الأرواح لأن النفس تلطف وتشرق بالنظر إلى مثل هذه الصورة فيتحلل ما فيها من الكدورة .

قال وتفكر في الحكماء المتقدّمين الذين استنبطوا الحمام في مدد من السنين كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ان الانسان إذا دخل الحمام يتحلل من قواه شيء كثير فاقتضت حكمتهم ان استخرجوا بعقولهم ما يجبر ذلك سريعا ، فرسموا في الحمام وصوّروا صورا بديعة الصنعة بأصباغ[٣٠] حسنة مفرحة وقسّموا ذلك ثلاثة أصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية ، فجعلوا كل قسم من التصوير سببا لتقوية قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها فصوروا للقوى الحيوانية الفتيان والحرب وطرد الخيل واقتناص الوحوش . وصوروا للقوى النفسانية العشق والتفكير في العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة بينهما ، أو معانقة وما أشبه ذلك .وصوروا للقوى الطبيعية البساتين ، وصوروا الأشجار البهية المنظر ، مع [كثرة تصوير الازهار والالوان المشرقة فهذه التصاوير هي جزء من أجزاء الحمام الفاصل ولو سألت المصور[المصير[٣١] عن خصوصية أن الحمام لا يصوّر المصورون فيها الا هذه الأقسام الثلاثة ، لما علم لها تعليلا ، لكن نذكر هذه الأقسام الثلاثة ولا نعلل وسبب ذلك تقادم السنين على تعليل مبادىء الأشياء فما خلق شيء سدى ولا جعل شيءٌ هدرا أبدا انتهى كلامه[٣٢] .][٣٣]

والذي أقوله انهم أرادوا بالاشكال الحسنه صور الحيوانات الممثلة في جدرات الحمام ، معدود من المنكرات التي تجب ازالتها عند العلماء وأهل الورع .

---

(٣٠) في «ح» باصناع بالنون . * في الأصل جعل والتصحيح من المطالع

(٣١) ساقط من الأصل والتكملة من مطالع البدور

(٣٢) اي كلام صاحب تفريج النفس . وهو بنصه في المطالع

(٣٣) هنا ينتهي السقط من «هـ» و «ت»

قال الإمام أحمد بن حنبل إن الإنسان اذا دخل الحمام ورأى فيه صورة ينبغي له أن يحكّها فإن لم يقدر خرج .

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب الإحياء عند ذكر منكرات الحمام[٣٤] ما لفظه ونصه :

«منها الصور على باب الحمام ، أو داخل الحمام فذلك منكر يجب ازالته[٣٥] على كل من يدخله[٣٦] ، إن قدر عليها ، فإن كان الموضع مرتفعا لاتصل اليه يده ، فلا يجوز له الدخول إلاّ لضرورة ، فيعدل[٣٧] الى حمام اخر فإن مشاهدة المنكرات غير جائز ، ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ، ولا يمنع من تصوير[٣٨] الأشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات» انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وقال الإمام يحيى بن حمزة[٣٩] عليه السلام في كتاب «التصفية»[٤٠] عند ذكر الحيوانات التي في جدر الحمامات وبيوتها الداخلة والخارجة : فإن ما هذا حاله يجب تغييره ويكفي في تغييرها قلع رؤوسها وفصلها وتشويه وجوهها بحيث تبطل صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش فإنها مباحة فإن لم يمكن تغييرها فإنه يعدل الى حمّام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائزة . انتهى كلام الإمام يحيى صلوات الله عليه وسلامه .

---

(٣٤) الإحياء ج ٢ ص ٣٣٤

(٣٥) في الإحياء «ازالتها»

(٣٦) في الاحياء «يدخلها»

(٣٧) في الاحياء «فليعدل»

(٣٨) في الإحياء «صور» .

(٣٩ من ائمة الزيدية في اليمن ولد سنة ٦٦٩ وتوفي سنة ٧٤٩ له مؤلفات انظرها في كتابنا مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ص ٥٦٤ .

(٤٠) ويسمى ايضا «تصفية القلوب عن درن الأوزار والذنوب» وهو مختصر احياء علوم الدين للغزالي منه عدة نسخ خطية أوردناها في كتابنا مصادر الفكر ص ٥٦٦ .

والحمَّام في الأصل وُضِعَ للتنظيف[41] . من نحو الأوساخ والدرن والعفونات والقمل ، [ولذا قال الرقاشي[42] وقد دخل عليه بعض الأمراء الحمَّام فقال له : ذُمَّهُ ، فقال : يهتك الأستار ويولِّد الأقذار ويذهب بالوقار فقال : إمْدَحهُ ، فقال : يذهب القَشَافَة[43] ويُعْقب النظافة ويَفشّ التُخْمة ويطيّب النعمة . انتهى كلامه] .[44]

ووضع الحمام أيضا لدفع أمراض جمَّة كالحُميَّاتِ والتخم والإعياء وأنواع الهيضة والنَّزلات . وله منافع كثيرة [أعظمها منفعة هواها إذا كانت معتدلة الهواء والماء فإنها تفتح مسامَّ البدن فيسهل بذلك خروج الفضلات منه ويكسبه رطوبة عذبة ، فيصير بها البدن ، إلى نشاط وقوة وأفراح][45] حتى قيل أنَّ دخول الحمَّام ، من أدوية العشق .

قال الشريف جعفر بن أبي الفهم المظفري الأشرفي في كتابه المسمى «بالوصول الى معرفة ما في العشق من الفصول» : ومن أدوية العشق وعلاج زواله دخول الحمام بشرط أن لا يطيل العاشق المقام . انتهى .

[قال الشيخ هبة اللهأبو المكارم ابن جميع الإسرائيلي[46] الطبيب في كتاب «الإرشاد»[47] : الفصل الخمسون «في الاستحمام ومنافع الحمَّام ومضاره وكيفية استعماله» منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقتها لسائر الأمزجة الحارة والباردة والرطبة واليابسة اذا استعملت على ما ينبغي . وقد أشار جالينوس[48] الى ذلك بقوله إن

(٤١) في الأصول التنضيف بالضاد .

(٤٢) هو الفضل بن عبد الصمد شاعر متهتك عاصر أبا نواس وتوفي نحو سنة ٢٠٠ «الأعلام ج ٥ ص ١٥٠» .

(٤٣) رثاثة الهيئة وسوء الحالة .

(٤٤) ساقط من «هـ» و «ت» .

(٤٥) ساقط من «هـ» و «ت»

(٤٦) هو هبة الله بن زيد بن حسن بن جميع الاسرائيلي طبيب مصري خدم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وارتفع شأنه توفي سنة ٥٩٤ «الأعلام ج ٨ ص ٧٢» .

(٤٧) يعرف بالارشاد لمصالح الأنفس والأجساد» منه مخطوطة في دار الكتب المصرية .

(٤٨) طبيب يوناني انظر تاريخ الحكماء للقفطي ص ١٢٢ - ١١٣٢

الحمّام نافع في الشتاء والصيف لمن كان مزاجه حاراً أو بارداً أو رطبا ويابسا . وقال أيضا : إن الحمام علاج للبدن من الضدّين إن دخله حاد المزاج عدّله بترطيبه/ وإن دخله بارد المزاج أفادته بحرارته وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويدر البول ويحسن(٤٩) الطبيعة وينظف الوسخ(٥٠) . ويُنضج النزلات والزكام وينفع من حميات يوم ، ومن الدق(٥١) والربع(٥٢) والبلغميّة بعد نضجها ، وينفع من وجع الجنب والصدر ، وينضج الربو ، ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب الأبدان اليابسة الخشنة وقال جالينوس أن الحمام يحلل الكيموس(٥٣) اللذاع ويفيد البدن والأعضاء الأصلية نداوةً ورطوبة صافيةً ، كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبي.

قال الإمام الدميري في كتابه (حياة الحيوان)(٥٤) قلت : إذا دبّر ذلك طبيب حاذق انتهى](٥٥) وينبغي لداخل الحمام أن يدخله عند آخر الهضم بحيث أنه يخرج منه محتاجا الى الغذاء فإن في ذلك حفظ الصحة ، وأصبر الناس على الحمّام البلغميون ثم السوداويون وأسرع الناس ضررا منه الصفراويون . خصوصا اذا دخلوه مع الجوع ، وفي زمن الحر ، [والإكثار من دخول الحمام يسرع الشيب في الانسان]

ولمّا كان من العروق ما هو بعيد الأغوار ، أدق من الشعر ، وكان من الدواء ما لا يجذب إلاّ الأقرب [فالأقرب] من المعدة، والدهن ، إنما يحلل ما في الجلد ، خاصة ، وكانت الضرورة تقضي باجتماع عفونات في أمكنة من البدن لا

---

(٤٩) في حياة الحيوان ويحبس الطبيعة . وكذا في المطالع ج ٢ ص ٣ .

(٥٠) في حياة الحيوان وينظف البدن من الوسخ .

(٥١) حمى الدق : داء تعرفه العامة بالسخونة الرفيعة «المنجد ص ٢١٩» .

(٥٢) حمى الربع : هي التي تنوب كل رابع يوم «المنجد ص ٢٤٦» .

(٥٣) الكيموس : الخلط أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه والكلمة يونانية «المنجد ص ٦٩٨» .

(٥٤)حياة الحيوان ج ٢ ص ١٢٥

يبلغها الدَّواء ولا الدهن ولا يبعد مع تطاول المدة فاجتماع تلك العفونات ان تحدث في البدن أمراض ضارة . جُعِلَ الحمام للتلطيف ولتحليل كل ما استعصى وهو مع هذه المنافع لا يخلو من الضرر لمن جهل التدبير فإن من دخله على الخـوا [٥٦] وهو خلوّ معدته عن الطعام بالجوع المفـرط سواء أخـذ ما يمسـك الرمـق[٥٧] أن لا يصيبه الصداع بالأبخرة وهيجان الحرارة والرعشة بالتحليل واليبس العرضي واسالة الخلط إلى المفاصل أو يوهن القوى جميعهـا/ إن لم يصـادف ما يسيلـه فيضعف الشهوتين ويملأ البطن بالأخلاط ويهزل[٥٨] .

[عن محمد بن[٥٩] عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : رأيت في الطب عجباً لمن يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الأكل بعدمـا يخـرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر إلى الأكل كيف لا يموت انتهى .

وقال بعض الحكماء : للحمَّام مضار وهي أنها تسهل إنصباب الفضول الى الأعضاء الضعيفة وترخي الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصـبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة انتهى .

قال[٦٠] بعضهم وإيَّاك أن تدخل الحمَّام وتخرج منه بجسمك[٦١] عارياً وإذا أردت الخروج فأخرج الى المسلخ متدرجاً ، وأفرغ عليك ثوبـاً نظيفـا مبخـرًّاً واجتنب النساء يوماً وليلة ، وتـكره المجامعـة في الحمام لأنهـا تورث الاستسقـا وأمراضاً رديَّة . ويكره أيضا شرب الماء البارد عقيب الحمام والطعام الحار والتعب والمجامعة والأكل فإن ذلك جميعه مضر جداً انتهى .][٦٢]

---

(٥٥) ما بين المعقوفتين ساقط من «هـ»

(٥٦) زيادة من «ح» في هـ ام لا يصيبه وفي تذكرة داود ج ٢ ص ١٢٠ «أم لم يأخذ»

(٥٨) هذا الكلام مأخوذ من تذكرة ج ٢ ص ١٢٠ مع تقديم وتأخير .

(٥٩) فقيه مصري توفي سنة ؟

(٦٠) حياة الحيوان ج ٢ ص ١٢٥ .

(٦١) في حياة الحيوان بحميتك .

(٦٢) ساقط من «هـ» وانظر هذا الكلام بنصه في حياة الحيوان .

قيل أن من قَصْده تهزيل بدنه يدخل الحمام على خلو المعدة سيما اذا اقتصر فيه على الهوا ولم يتغمَّز ولم يفعل شيئاً مما أشبهه و إطال اللبث فيه . ومن دخله على الشبع والامتلاء تصيبه الرياح فانه يولدها ويتولد في بطنه الديدان التي تكون في الجوف ويصيبه السدد والأخلاط الغليظة والشحم الكثير ، حتى قيل أن من قصده تسمين بدنه يدخل الحمام بعد تناوله الطعام .

[وقال الحارث(٦٣) بن كلدة : أربعة أشياء تهرم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلا وأكل القديد ومجامعة العجوز ـ والمراد بالقديد قديد اللحم ـ وقال الرئيس ابو الحسين(٦٤) ابن سينا ينبغي تجنب الحمام على الإمتلاء من الطعام فإنه يولد سدداً في الكبد ، والعروق لانجذاب المواد الغذائية غير منهضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك سبباً لحدوث/ أنواع الحميات العفنة والاسهال الكاين بأدوار انتهى كلامه](٦٥)

وهذه المضار وإن ثبتت في الحمام ممكنة التدارك وهي أقل من ا لمنافع التي لا تحصل الا بدخول الحمام .

وقال إبن زهر(٦٦) الحمام موجب لتعفين الاخلاط وفسادها وتحليلها وهو كلام لا يلتفت اليه ولا ينبغي أن يعول عليه .

وقيل إن الحمام مطلقا ضار لمن دخله والقمر أو الشمس او هما معاً في أحد(٦٧) البروج المائية وهي «السرطان» و «العقرب» و «الحوت» وضرره أشد وأعظم مع ذلك لمن جاوز من عمره الثمان والعشرين السنة والله أعلم .

[(تنبيه)(٦٨) استعمال النورة في الحمام له منافع كثيرة منها ازالة الشعر ،

---

(٦٣) طبيب عربي توفي سنة ٥٠ تقريبا .
(٦٤) طبيب وفيلسوف وفاته سنة ٤٢٨ .
(٦٥) ساقط من «هـ» و «ت» وأنظر هذا في المطالع من ص ٦
(٦٦) طبيب اندلسي وفاته سنة ٥٥٧ والكلام مأخوذ من التذكرة لداود .
(٦٧) في (ح) أجل .
(٦٨) ما بين المعقوفتين ساقط من «هـ» و «ت» وهو الكلام على النورة بتمامه .

ومنها تنعم البدن وغير ذلك ولذا ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما أراد أن يتزوج بلقيس كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الأنس ما يذهب هذا فقالوا الموس[٦٩] فقالت لا تمسني حديدة قط وكره أيضا الموس ، وقال إنها تقطع ساقيها . فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا إنا نحتال لك بحيلة حتى يكونا كالفضة المجلوّة فاتخذوا النورة والحمام فمن ثم ظهرت النورة في الحمامات ولم تكن قبل ذلك[٧٠] فلما أطلت بلقيس بالنورة في الحمام زال شعر ساقيها وتزوجها سليمان عليه الصلاة والسلام بعد أن أسلمت معه .

يقال إن اللذات أربع فلذّة ساعة وهو الجماع . ولذة يوم وهي الحمام ولذة جمعة وهي النورة . ولذة حول وهي تزوج البكر .

ويقال ألذّ أحوال جماع المرأة إنتيارها ـ اي استعمال النورة ـ

وحكى المبرد في «الكامل»[٧١] عن يزيد بن المهلب قال وددت لو كانت طليت نورة بمائة ألف . ولو كان فرج المرأة في جبهة أسد حتى إلا كريم[٧٢] ولا يصل الى الفرج إلاّ شجاع .

وروى أبو داود في كتاب «المراسيل» من رواية اللؤلؤي والرملي عنه عن الفضيل بن الحسين الجحدري عن/ عبدالواحد عن صالح عن ابي معشر ان رجلاً نوّر رسول الله ﷺ فلما بلغ العانة كف الرجل منوّر رسول الله ﷺ نفسه كذا جاء في الحديث .

وجاء في حديث آخر ان رسول الله ﷺ لم يتنوَّر هو ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان . خرَّجه أبو داود أيضا .

قال ابن السيد في الاقتضاب[٧٣] يقال من النورة أنتار الرجل إنتياراً وانتور إنتواراً وتنور تنوراً .

---

(٦٩) في حياة الحيوان الموسى .

(٧٠) انظر هذا الكلام بالنص في حياة الحيوان ج ٢ ص ١٢٤ .

(٧١ هذا النص جهدنا في البحث عنه في مطبوعات الكامل فلم نجده .

(٧٢) كذا . (٧٣) الاقتضاب ص ٥٣ ط دار الجيل سنة ١٩٧٣ .

قال وكان ابو العباس ثعلب(٧٤) ينكر التنوّر ويقول إنما يقال ذلك لمن نظر الى النار . قال ويرد عليه ما أنشده ابو تمام في «الحماسة»(٧٥) لعبيد بن قرط الأسدي وكان دخل الحضرة(٧٦) مع صاحبين له فأحب صاحباه دخول الحمام فنهاهما عن ذلك فأبيا إلاّ دخوله ورأيا رجلاً يتنور ، فسألا عنه فأخبرا بخبر النورة فاستعملاها ولم يحسنا فأحرقتهما فقال عبيد :

لعمْري لقد حذرت قرطا وجاره ... ولا ينفع التحذير من ليس يحذرُ
نهيتهما عن نورة أحرقتهما ... وحمام سوء ماؤه يتسعَّرُ
أحدكما لم تعلما ان جارنا ... ابا الحسل بالصحرا(٧٧) لا يتنور
فما منهما إلا أتاني موقعاً ... به أثر من مسها يتقشرً(٧٨)
ولم يعلما حمامنا في بلادنا ... إذا جعل الحرباء بالجذل يخطر

وينبغي اجتناب استعمال النورة وحدها فإنها ترخي اذا كان استعمالها داخل الحمام فان كان خارجه فرديء فان كان ولا بد منها اتبعها المستحم بما يشدُّ الأعضاء كالعفص فان لها منافع . ويستعمل الخطمى ليأمن من حرقة النورة ثم يغتسل بالماء البارد وينشف البدن منه(٧٩) .

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في «الإحياء»(٨٠) ان النورة بعد الحمام أمان من الجذام انتهى كلامه .

فإذا حبب(٨١) استعمال النورة . أولاً ليأمن من الجذام . كما قاله الغزالي وغيره . فلياخذ على اصبعه / شيئاً من النورة ويشمها ويقول صلى الله على سليمان

---

(٧٤) لغوي كبير وفاته سنة ٢٩١ هـ .

(٧٥) الحماسة ج ٤ ص ١٥٨ بشرح المرزوقي ونسبها لأعرابي .

(٧٦) أي الحاضرة : البلد المأهول .

(٧٧) في المطبوعة من الاقتضاب «بالبيداء» وكذا في الحماسة

(٧٨) ورد هذا البيت متقدما على الذي قبله وكذا في الحماسة .

(٧٩) انظر هذا في حياة الحيوان ج ٢ ص ١٢٥ .

(٨٠) هذا النص أورده المؤلف عن الدمّيري في حياة الحيوان .

(٨١) نص حياة الحيوان «وان أحب إستعمال النورة» .

بن داود ويكتب ذلك على فخذه الأيمن فانه يعرق قبل النورة فيسيح[٨٢] العرق ويطلي ويكون ذلك في البيت الحار ، ليعرق سريعا ويستعمل بعدها بزر العصفر[٨٣] وبزر البطيخ ودقيق الأرز ويعجن ذلك . بماء [الآس][٨٤] والتفاح . وماء الورد ، ويسخن في اناءويطلي به الجسد مع عسل فإن ذلك ينفع[٨٥] البدن وينفي عنه ثلثين[٨٥] داء كالجذام والبرص والبهق والنفطات والبثرات[٨٧] ونحو ذلك .

قال القزويني اذا طرح في النورة الزرنيخ [ورماد الكرم وطلى به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلا[٨٨]] مراراً فان الشعر يضعف حتى لا يكاد يعود .

وقال الامام العلامة فخر الدين الرازي رضي الله عنه النورة التي [يطلى بها الجسد][٨٩] قبل الزرنيخ ربماأحدثت كلفادفع ضرهابالأرز والعصفر طلاءً واذا[٩٠] عجن للمحرورين الشعير أو الأرز او البطيخ او البيض [برد الحرارة . واذا عجن][٩١] للمبرودين بماء المزرنجوس والنمام [نعش الحرارة][٩٢] وينبغي أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن من الحكة والبثر[٩٣] .

نعم قال الشيخ أبو علي من علماء الأصول . وجهابذة علم الكلام أن إزالة الشعر بنورة من قبيل الأسباب والمسببات . وذلك أن الإزالة من قبيل الأكوان

---

(٨٢) حياة الحيوان «يمسح»

(٨٣) البرز هنا زيادة على نص حياة الحيوان .

(٨٤) ساقط من «ح» والزيادة من حياة الحيوان ج ٢ ص ١٢٥ .

(٨٥) في حياة الحيوان ينقى .

(٨٦) في «ح» تلين والصحيح من حياة الحيوان .

(٨٧) في حياة الحيوان «البتر» .

(٨٨) ساقط من (ح) فأضفناه من حياة الحيوان .

(٨٩) ساقط من مطبوعة حياة الحيوان .

(٩٠) حياة الحيوان «إن»

(٩١) ساقط من مطبوعة حياة الحيوان .

(٩٢ و ٩٣) الى هنا انتهى النقل من حياة الحيوان .

لأنها تفريق بين الشعر ومنبته . وفي النورة أجزاء نارية فيها اعتمادات علْوية هي المولدة لذلك التفريق فهو حينئذٍ متولد من اعتمادات عُلْويَّة في النورة بسبب حرارتها لتضمنها لأجزاء نارية . فذلك التوليد الحاصل عن تلك الاعتمادات كالتوليد الحاصل عن الموسى إلا أن هذا من اعتمادات مجتلبة . وذلك الذي نحن فيه عن اعتمادات لازمة . وهذا القول مشكل على أصل أبي علي فإنه يقول أن لا متولد في فعل الله تعالى والحرارة مما يختص الله سبحانه بايجادها . وعلى أصل آخر له في الاعتماد فانه ينفيه ويرجع به الى نفس الجوهر . ولعل له قولين .

وقال/ الشيخ أبو هاشم[٩٤] لا يقطع بأن ازالة الشعر بالنورة متولدة من حرارتها وإن كان محتملا لجواز ان يكون ذلك التفريق من فعل الله علا وجل يحدثه عند استعمال النورة ويكون ذلك مما أجراه الله تعالى عادة مستمرة ككثير من العادات المستمرة . وهذا التجويز مما لا مانع منه فكان مانعاً من القطع أيضا فإن ذلك التفريق يتأخر وقوعه عن اتصال أجزاء النورة بمكان الشعر ويتراخى عنه فيضعف القول بكونه متولداً لتأخره عن سببه ولتراخيه عنه والمسبب لا يتراخى عن سببه في الغالب يحترز به عما يتراخى لوقوع مانع أو عدم شرط][٩٥]

قال بعض الظرفاء في وصف الحمام مما يجري مجرى الألغار ما لفظه :

وقد أظلتها سماء ذات نجوم . لا أشراق لها ولا رجوم . وهي مركبة في فلك صحن[٩٦] استدارته وسكنت ادارته .

اعجب لها من أنجم	عند الصباح ظاهره
لكنها اذا بدا	نجم الظلام غايره

فهي على القياس جنة نعيم . مبنية على لظى جحيم . لا خلود فيها ولا مقام . ولا تزاور بين أهلها ولا سلام . أنهارها متدفقة . ومياهها مترقرقة . والأكواب بها موضوعة والنمارق عنها منزوعة :

(٩٤) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبّائي من المعتزلة توفي سنة ٣٢١ .

(٩٥) من هنا ينتهي السقط من «هـ» و (ت)

(٩٦) في «هـ» صحت .

يطيع بهـا المولى أوامـر عبده وتصبـح طوعـا في يديه مقاتله
ويرفـع عنـه التـاج عنـد حلوله وتسلـب من قبـل الجلـوس غلايله

التجمل بها معدوم . والخادم فيها مخدوم . ينكر بها اليسير من البرد . ويكره حرها اذا جاوز الحد . انتهى .

وقال ابن الدروي[٩٧] رحمه الله تعالى :

إن عيش الحمام أطيب عيش غـير أن المقـام فيه قليل
فهي مثل الملوك تصفي لك الود ولـكن وده مستحيل
جنـة تكره الاقامـة فيها وجحيم يطيب فيه الدخول
فكأن الغـريق فيه كليم وكأن الحـريق فيهـا خليل

وقال آخر ملغزاً فيه[٩٨] :

ومنـزل أقـوام اذا ما تقابلوا تشابـه فيه وغْـدُه ورئيسُهُ
ينفس كربـي إذ تنفس كربه ويعظـم أنسي إذ يقـل أنيسه
اذا ما أعـرت الجـو طرفـاً تكاثرت على من به أقماره وشموسه

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف[٩٩] رحمه الله تعالى :

مررنـا بحمام كأنـا نحجه وقـد عقـدت منـا المآزر نحرم
فلما حللنـا منـه صدراً كأنما غدت فيه نـيران الصبابـة تضرم
بكت فيه أجفـان الأنـابيب بيننا كأنَّـا له اللـوَّام وهـو المتيَّم

وقـال صفـي الـدين الحلي رحمـه الله تعـالى وقـد دخـل الحمام مع الملك المنصور :

لم أنس ما عشـت حمَّـامـاً حللـت[١٠٠] بها
مـا بـين كل رخيم الـدل فتان
في جنـة من طبـاع أربـع جمعت أرض ومـاء وأهـواء ونيران

---

(٩٧) لم أقو على ترجمته ولعلّه نفس المترجم له في الخريدة ج ٢ ص ٢٦٠ باسم ابي علي بن الرئيس الدووي بواوين .

(٩٨) الأبيات في مطالع البدور ج٢ ص ٩ ونفح الطيب ج٣ ص٣٥٢ .

(٩٩) هو محمد بن سليمان التلمساني ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٦٨٨ شاعر له ديوان مطبوع لا يوجد عندنا .

(١٠٠) في «هـ» نزلت وديوانه «دخلت» .

فنلت من حرها برداً على كبدي وفزت من مالك فيها برضوان
فاعجب لها جنة فيها جحيم لظىً يذكى ولم يخل من حور وولدان[101]

وقد أخذ صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى قوله في هذه الأبيات (وفزت من مالك فيها برضوان) من أبيات ابي الفضل احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن الكاتب الشاعر المشهور ويعرف ايضا بابن الحارث الدينوري البغدادي[102] لما أضافه الحكيم ابو القاسم الأهوازي يوما وزاد في خدمته وكان في داره بستان «وحمام» فأدخله اليهما فقال أبو الفضل :

وافيت منزله فلم أر حاجباً إلاَّ تلقاني بسنٍ ضاحك
والبشر في وجه الغلام إمارة لمقدمات حياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه فشكرت رضوانا ورأفة مالك

وقال شهاب الدين بن فضل الله[103] رحمه الله تعالى :

وحَمَّامنا كعبة للوفود تحج اليها حفاة عراة
يكرر صوت أنابيبه كتاب الطهارة باب المياه[104]

وقال أبو جعفر الطليطلي[105] رحمه الله تعالى :

يا حسن حمامنا وبهجته مرأى من السحر له حسن
ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحزن[106]

وقال الشيخ صدر الدين بن عبد الحق الحنفي رحمه الله تعالى في الحمام :

وجنة لا تنطفي نارها ندخلها وهي لنا مقصيه
نعيمنا فيها بلا طاعة عذابنا فيها بلا معصيه

---

(١٠١) ديوان الحلي ص ٢٧٧ .
(١٠٢) شاعر توفي سنة ٥١٨هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦ والأعلام ج ١ ص ٢١٤ .
(١٠٣) هو المؤرخ المترسل شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ .
(١٠٤) انظرهما في مطلع البدور ج ٢ ص ١١ ونفح الطيب ج ٣ ص ٣٥٢ .
(١٠٥) هو ابو جعفر بن هريرة الطليطلي المعروف بالأعمى من شعراء الأندلس .
(١٠٦) انظرهما في نفح الطيب ج ٤ ص ٣٢١ ج ٣ ص ٣٤٨ ط احسان عباس .

وقال ابن خاقان رحمه الله تعالى [وفي بعض النسخ بن وزير][١٠٧]

لله يوم بحمام نعمت بها[١٠٨] والماء من حوضه ما بيننا جاري
كأنه فوق شفَّاف[١٠٩] الرخام ضحىً أوائل الماء في أثواب قصار[١١٠]

[ولما سمع هذا النظم الأديب ابن الدروي قال يذمه :[١١١]

وشاعر اوقد الطبع الذكاء له فكاد يحرقه من فرط واذكاء
أقام يجهد أيام [١١٢] قريحته وشبه الماء بعد الجهد بالماء[١١٣]]

وقال الشاب الظريف الفاضل العصري زيد بن يحيى[١١٤] بن الحسين بن المؤ يد بالله [بن المنصور بالله القاسم بن محمد رحمة الله تعالى عليهم وسلامه][١١٥] وقددخل في فصل الشتاء مع شدةالبرد فيه حمام «سبا»[١١٦] ـ بفتح السين المهملة والباء الموحدة بعدها ألف ـ وهو حمام مشهور معروف من حمامات مدينة صنعاء/ اليمن المحمية بالله تعالى :

لله حمام له منّه علي قد نلت بها المطلبا
أصبحت مهموما لبرد الشتاء ففرَّقت همي أيدي سبا

[وقال الأديب العصري ومن كلماته حقيقة بأن تكتب بالذهب المصري .

---

(١٠٧) ساقط من «هـ»

(١٠٨) في خزانة الأدب لابن حجة «به»

(١٠٩) في الخزانة «شقات»

(١١٠) في الخزانة «جاء هذا الشطر كما يلي «ماء يسيل على اثواب قصار»

(١١١) انظرهما في خزانة الأدب ص ١٨٢ منسوبين لابن وزير وفي الغيث المنسجم ج ١ ص ١٥٧ منسوبين لابن خاقان .

(١١٢) في الغيث والخزانة «أياما»

(١١٣) انظرهما في الغيث المسجم ج ١ ص ١٥٧ وخزانة الأدب ص ١٨٢

(١١٤) من ادباء صنعاء ولد سنة ١٠٧٧ وبرع في الأدب له ديوان شعر توفي سنة ١١٠٤ انظر ترجمته في نسمة السحر لأخيه يوسف بن يحيى «خ» ونشر العرف ج ١ ص ٧٠٠ وكتابي مصادر الفكر الاسلامي ص ٣٣٧ .

(١١٥) ساقط من (هـ)

شهاب الدين احمد بن الحسين الرقيحي نشر الله محاسنه وطمس من عين حاسده نوماً ومحى سِنَه. مما أنشد لنفسه وكتبته من إملائه وذلك في حمام روضة حاتم لا زالت مرفوضة على جبينها أقراط الذهب من الأعناب ولابرحت خيام السحب الثقال على سفوحها مضروبة الأطناب :

حمام روضة حاتم كملت جميع صفاته
فيه نعمت بطيبه وسعدت دون شقاته
فشربت من عرقي به وسكرت من جاماته

قلت وقد قصد التورية في قوله فشربت من عرقي كما لا يخفى . ورشح للتورية بقوله وسكرت من جاماته وهي ظاهرة :][١١٧]

وقلت في «الجناس[١١٨] التام»

وحمام أنس قد جرى بي جواده بميدانه عن سرجه ولجامه
فواشوق نفسي اذ تعاظم كربها لأقداحه وقت الضحى وجامه

[وقلت مضمنا :

بحمامنا حزت ما أشتهي من الانتعام ونلت الأرب
وشاهدت ماء به ساخنا جرى في الأنابيب ثم اضطرب

أصله قول الشاعر من الشواهد النحوية التي وقعت فيه ثم موقع الفاء

كهز الرديني تحت العجاج جرى في الأنابيب[١١٩] ثم اضطرب[١٢٠]

وقلت :

---

(١١٦) هو في شمالي مسجد الجامع الكبير وجنوبي مسجد داؤد وشرقي مسجد طلحة بصنعاء هو من أقدم الحمامات «أنظر خطط صنعاء للمؤرخ زيارة المنشورة بتحقيقنا في مجلة اليمن الجديد سنة ٧٣»

(١١٧) ساقط من «هـ» و «ت»

(١١٨) هو عند أهل البلاغة ايراد اللفظة بصيغة واحدة تتفق لفظا وتختلف معنا «انظر خزانة الأدب ص ٣٠» .

(١١٩) في المغني طبعة الشيخ عبد الحميد ج ١ ص ١١٩ «جوى»

(١٢٠) انظره في مغني اللبيب ج ١ ص ١١٩

حمامنا فيه شفاف الزجاج زهى أضواء مثل شمس الأفق فيه بدت
كأنه ركب الناظور مبتغيا تقريب أفراحنا منا وقد بعدت[١٢١]]

وقلت أيضا :

عجبت من حمامكم والنفس فيه أمنت
أبدى لنا مسرة وعينه قد سخنت

أقول اذا عرفت معنى قولهم «سخنت عين فلان» و «أسخن الله عينه» . ظهر معنى هذا المقطوع لأنه اذا قيل ذلك فمعناه الدعاء على من قيل فيه . والمراد أن الله سبحانه يرسل عليه حوادث عظيمة وخطوبا جسيمة يبكي عندها بدمع سخين أي حار . واذا كان كذلك فهو دمع حزن . ولذا أن أهل الشرع قالوا في المخطوبة من النساء اذا بكت عند ارادة وليها لها التزويج ان تلمس دمعتها فإن كانت حارة فبكاها عن حزن وكراهة للنكاح وان كانت باردة فبكاها عن سرور ورضى به .

[قال العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي[١٢٢] رضي الله عنه في ديوان ابي الطيب المتنبي عند شرحه لقوله في ذكر الإبل :

لا سرت من إبل لو اني فوقها لمحت حرارة مدمعي رسماتها[١٢٣]

ما لفظه :

يريد حرارة عينيه في البكا ودمع الحزن يكون سخيناً حاراً ولهذا يقال في الدعاء على الإنسان أسخن الله عينيه أي ابكاه وجداً وحزناً حتى تسخن عينيه . انتهى كلام الواحدي بحمد الله تعالى[١٢٤]] . فالمعنى في هذا المقطوع أن هذا الحمام أظهر لنا عجباً من أمره فإنه أبدى لنا مسرة مع أن عينيه قد سخنت ومن سخنت فإنما حقه الحزن لا المسرة فهذا الحمام جمع بين نقيضين .

وقلت أنا ايضا من النظم في الحمام :

---

(١٢١) ساقط من «هـ» و «ت»

(١٢٢) لغوي وأديب توفي سنة ٤٦٨ «الأعلام» ج ٤ ص ٢٥٥

(١٢٣) ديوانه ص ٣٤٨ «بشرح البرقوقي»

حمامنا رام ادراكا لما سمعت ... أذناه من كيمياء أعيت البشرا
أراد يعقد تبرا في صناعته ... فنظم الرشح من أبداننا دررا

وقلت أيضا مع الجناس واللف والنشر المرتب :

ناديت حمامنا لما تفطر من ... نار يسعرها في الصدر تقطيرا
في الكيمياء لقد أحكمت بعد عنا ... بالنار والرشح تصعيدا وتقطيرا

وقلت أيضاً :

الكيمياء صنعة حمامنا ... يدل إذ فاه به من نطق
تصعيده الأنفاس من حره ... في الصدر أو تقطيره للعرق

وقلت :

الرشح منا وسط حمامنا ... منتشر الجوهر كالقطر
يسقط كاللؤلؤ في صدره ... ما أحسن الدر على الصدر

[وقلت (في) حمام «الميدان»[125] من حمامات صنعاء اليمن المحمية وهو قريب من القصر السعيد :

قم من سيرك نحو القصر في عجل ... إن شئت صحة ارواح وأبدان
(. . .) الى نيل ما يرجوه من فرح ... (. . . . .) في حمام ميدان

؟ وقلت في ذكر حمام السوق[126] من حماماتها أيضا وذكر لطف الخدامين فيه :

عجبت لخدام الدباس فانهم ... كدر على سمط الملاحة منسوق
فكم «. . .» من خادم متلطف ... بحمام سوق يستقيم على سوق]

وقلت في «حمام شكر»[127] بضم الشين المعجمة وسكون الكاف بعدها راء وهو حمام بصنعاء المحروسة أيضا معروف . وفي النظم الجناس .

---

(١٢٤) ساقط من «هـ» و «ت»

(١٢٥) حمام الميدان من الحمامات العامرة بصنعاء يقع غربي باب القصر وجامع البكيرية وشمالي مسجد الأبزر عمره الوزير الباشا حسن في أول المئة الحادية عشرة من الهجرة انظر زبارة في خطط صنعاء بمجلة اليمن الجديد يونيو سنة ١٩٧٣ بتحقيقنا .

قلت وفي انباء الزمن ان الوزير حسن باشا عمر حمام الميدان وكان من عجائب الدنيا وقد اثنى على بنائه وقاعدته الصحية الطبيب اليمني الواقدي .

(١٢٦) هو المعروف في سوق البقر بصنعاء جنوبي مسجد محمود وغربي مسجد الشهيدين «انظر خطط صنعاء» .

قد دخلنا (حمام شكر) فملنا — لنعيم حواه من فرط سكر
فشكرناه بالذي كان منه — ولهذا يقال (حمام شكر)

وقلت فيه أيضا وفي حمام «الحميدي»[١٢٨] من حمامات صنعاء

عليك بسفح صنعاء كم دباس — اليه بها هُبلت تمد أيدي
فتشكر فيه «شكرا» عن يقين — ونحمد فيه حمام «الحميدي»

وقلت في حمام «الطواشي»[١٢٩] بالطاء المنقوطة[١٣٠] من تحت والشين المعجمة وهو حمام بصنعاء اليمن أيضاً وبه مغطس عميق . وفي النظم الجناس أيضاً :

إن المغطس قد راق بحمام طواشي
فلكم كف من الآلام جمّاً وطوى شي][١٣١]

وقلت في حمام شبام كوكبان المحروس . وقد حسن منه الرسم في الجدرات وهو النقش وفيه اذ ذاك حمامي [يلقب] بالحدّى بالحاء والدال المهملتين والرسم[١٣٢] والحد[١٣٣] في علم المنطق معروفان .

برسم ذا الحمام مع خادم — أوصافه جلت عن العد
قد تاه في أوصافه منطقي — وحار بالرسم وبالحدي

---

(١٢٧) هو شرقي مجرى السيل ومسجد قبة المهدي العباس وشمالي مسجد ابي الروم «زبارة خطط صنعاء» .

(١٢٨) هو جنوبي مسجد الحميدي وغربي مسجد موسى وشمالي مسجد باب اليمن «خطط صنعاء» .

(١٢٩) حمام الطواشي شمال مسجد عقيل وجنوبي مسجد الطواشي عمره والمسجد سلطان الهند وقد جاء في انباء الزمن في حوادث سنة ١٠٢٨ انه وصل رسول من سلطان الهند يعرف بالطواشي ومعه هدية عظيمة لمحمد باشا ولبث في صنعاء اياما وفي ايام اقامته بصنعاء بناء المسجد والحمام وجعل مصالحه للمسجد «انظر خطط صنعاء ومساجد صنعاء ص ٦٩»

(١٣٠) جرت العادة في الخطوط اليمنية ان يضعوا نقطة تحت الطاء وتحت الدال وهذا قديما اما الآن فتلاشى .

(١٣١) ساقط من «ح»

(١٣٢) يعرفه صاحب التعريفات بقوله «الحد دال على ماهية الشيء» التعريفات ص ٤٥ ط تونس .

وقلت في حمام المعرَّة وهو حمام ينبع ماؤه حاراً بالقدرة الآلهية لا بعلاج من النار وهو عظيم النفع للآلام وفيه توفي إمام عصرنا المولى أمير المؤمنين المؤيد بالله رب العالمين محمد[١٣٤] بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين اسماعيل بن المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد عليهم السلام أجمعين .

لحمام المعرة[١٣٥] أي نفع ... فكم جسم نفى عنه المضره
فبادر نحوه إن كنت حراً ... وذق للنفع بارده وحره
له صدر وسيع كم تلقى ... برحب نازلاً وحمى مقره
تحدر نهره بين الندامى ... فقل ذي الزهر أو هذي المجره
لذي التعريق منه سلك در ... فكم من درة في اثر دره
ولكن مصرع المولى به قد ... جرى حتما فآهي ما أمرّه
فموت إمامنا اذ كان فيه ... نفى عن جملة الخلق المسرة
معرة جيشه وفدت إليه ... لذلك قيل حمام المعره

[وقلت في بعض حمامات «تعز»[١٣٦] القاهرة من اليمن الأسفل وقد دخلته أنا وبعض الأصحاب الأجلاء بعد وصولنا من بندر «المخا»[١٣٧] في شهر ربيع الأول سنة اثنين وماية وألف سنة قاصدين الوطن السعيد بمحروس (كوكبان) لا زال مزاحماً برأسه لما ارتفع من الأفلاك :

لم أنس حمام «تعز» ... ورتبتي فيه تعزْ
وكيمياء راحتي ... والأنس فيه قد رُمِزْ
في معدن تحت الثرى ... في باطن الأرض رُكِزْ
وناره كأنَّها ... تسبك لي عين الفلزّ[١٣٨]

---

(١٣٣) في التعريفات الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل الى ما سابق علم الله تعالى انظر التعريفات للجرجاني ص ٦٩ .

(١٣٤) حكمه سنة ١٠٩٢ ووفاته سنة ١٠٩٧ وقبر بحصن ضوران «اتحاف المهتدين ص ٨٤»

(١٣٥) هو المعروف الآن بحمام علي في صوب ضوران آنس .

(١٣٦) نسبة الى حصنها المطل فوقها فيقال لها تعز القاهرة . وهي من عواصم اليمن الآن .

(١٣٧) ميناء في اليمن معروف يلحق الآن بأعمال تعز .

به السرور لحظة في نعمة «....» انتُهز
والهم فيه قد قضى نحباً له لما وكز
بكف ريم أجود من خادم فيه غُمِز
كأنما قوامه رمح طعان قد هُزِز
الهم والغم به في أطيب الحال وخز
أو ألفٌ لما استقام ليناً لقد همز
قارنني فيه فتىً ما قط بالذنب نبز][139]

وقال بعض الظرفاء رحمه الله تعالى في الحمام وناره ومائه :

رب حمام تلظى كتلظي كل وامق
ثم أجرى[140] عبرات دمعها[141] بالوجد ناطق
فغدا منه ومني عاشق في جوف عاشق[142]

دخل ابن بقى[143] الحمام وفيه الطليطلي الأعمى فقال ابن بقى رحمهما الله تعالى أجز قولي :

حمامنا كزمان[144] القيض محترق وفيه للمرء[145] برد غير ذي ضرر

فقال مجيزاً قوله :

ضدّان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر[146]

---

(١٣٨) نوع من النحاس أبيض وقيل اسم يطلق على جواهر الأرض كلها .
(١٣٩) ساقط من «هـ» و «ت»
(١٤٠) في خريدة القصر للاصفهاني «أذرى» .
(١٤١) في الخريدة «صوبها»
(١٤٢) هذه الأبيات نسبها العماد الأصفهاني في خريدة القصر ج ٢ ص ٦٤٨ للأديب ابن الزقاق البلنسي .
(١٤٣) في الأصل بالثاء والتصحيح من عندنا وهو أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقى توفي سنة
(١٤٤) «أنظر نفح الطيب» ج ٣٤٧/٣
(١٤٥) في البيان المغرب ونفح الطيب «فيه فصل القيض محتدم»

وقال آخر رحمه الله تعالى في «التورية»

إن حمامنـا الـذي نحـن فيه — أي ماء له وأيّة نار
قد نزلنـا بـه على ابـن معين — وروينا عنه صحيح البخاري[147]

قلت لله در هذا الأديب ما أظرفه وأصنعه لحسن سبك التورية وهي أعني التورية هنا وقعت في محلين المحل الأول في قوله ابن معين فانه بفتح الميم صفة لماء الحمام والماء المعين معروف وابن معين ايضاً الامام الحافظ المحدث المشهور يحيى بن معين[148] رحمه الله تعالى وبذلك عرفت التورية الأولى . المحل الثاني في قوله صحيح البخاري فإن البخار هو كل متصعّد من الشي الحار والحمام لا بد له من البخار والبخاري بزيادة الياء محدث مشهور شهرته كالشمس في كبد السماء رضي الله عنه وصحيح البخاري في الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام مشهور سائر بين المحدثين في الآفاق سير المثل وبذلك عرفت التورية الثانية .

[وقد جاءت التورية بالبخاري للعلامة بدر الدين الدماميني[150] المخزومي رحمه الله تعالى حيث قال في عود البخور :

أتاني منك عود أطربتني — مواقع جبره عند إنكساري
له نفسٌ ذكي قد روينا — حديث الطيب فيه عن البخاري[151]]

وقال القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي[152] رحمه الله تعالى[153] /

---

(١٤٦) في البيان «وفيه للبرد صر غير ذي ضرر» وكذا في النفخ .

(١٤٧) انظرهما منسوبين كلاهما لابن بقى في الذخيرة لابن بسام ونفح الطيب ج ٤ ص ٢٢١ والبيان المغرب ج ٣ ص ١٣٨ .

(١٤٧) انظرهما في خزانة الأدب ص ٣٥٠ منسوبان لمجهول .

(١٤٨) وفاته سنة ٢٣٣ «انظر الأعلام ج ٨ ص ١٧٢» .

(١٥٠) اديب مصري وفاته سنة ٨٢٧ «انظر الأعلام ج ٦ ص ٥٧»

(١٥١) ساقط من «هـ» .

(١٥٢) اديب عاش بمعرة النعمان بالشام وتوفي سنة ٧٤٩ هـ .

(١٥٣) انظر هما في ريحانة الألبّا ج ١ ص ١٦٣ ومطالع البدور ج ٢ ص ١٣ ونفح الطيب ج ٣ ص ٣٥١ .

وما أشبه الحمام بالموت لامرىء تبصر لكن أين من يتبصَّرُ
يجرد من أمواله ولباسه ويبقى له من كل ذلك مئزر

وقلت أنا وذلك في الحمام ومصباحه الذي كاد ينطفىء من الحرارة المتصعدة في صدره والأبخرة وفيه «اللف والنشر المرتب(١٥٤)» [وقلت(١٥٥)] :

حمامكم وسراج فيه كاد بأن يطفى ونار وماء فاض فيض ندا
جوفي وقلبي ووجدي في محبتكم ودمع عيني الذي يجري بكم أبداً

وقلت أيضاً فيه وفي مصباحه :

أنظر لمصباح حمام حللت به يامن غدا وصله بين الورى عيدي
كأنه القلب مني بين حرّ جوى صعدته بالتجافي أي تصعيد

وقلت :

فاض علينا ماء حمامنا كالمهل يشوي وجه أعدائي
كأنه دمعي على سالفي قد صَعَّدَتْهُ نار أحشائي

[وقلت :

لي حبيب قال في الحمام إذ ذاب في الصدر بحر اليَرْمع(١٥٦)
ومياه الحوض تجري حوله دائما كالنهر لما تقطع
أيئس هذا الحرّ والماء معاً قلت ذا قلبي وهذا أدمعي(١٥٧)]

وقلت اعتذر إلى بعض الملوك وقد أراد دخولي الحمام صحبته :

مولاي لا ترج لي دخولاً الى دباس يزيل وفري
لست اليه الزمان آوي فأنت تكسي وذاك يعري

وقال الشيّخ الأديب جمال الدين محمد بن نباته المصري رحمه الله تعالى في ذم حمام دخله مع صديق له :/

---

(١٥٤) اللف والنشر عند البديعيين هو أن تذكر شيئين فصاعدا ثم تأتي بما يناسب ذلك في البيت الآخر «انظر الخزانة ص ٦٦ .

(١٥٥) ساقط من «هـ» .

(١٥٦) حصى أبيض يلمع .

(١٥٧) ساقط من «هـ» و «ت» .

(١٥٨) ديوانه ص ٤٧٩

دعانـي صديق لحمامه فأوقعنـي في العـذاب الأليم(١٥٩)
كلام يزيد ومـاء يقل فبئس الصـديق وبئس الحميم

وقال بعض الظرفا في ذم حمام بارد :

قلت للقوم من دعوني الى الحمام (م) كي تنتفي به آلامي .

إن حمامـكم لبـرد حوته هي محتاجـة إلى حمام

[وقال آخر في ذلك :

إن حمامنـا التـي نحـن فيها هي في حاجـة إلى حَمَّام
قد دخلنـا ونحـن أبنـاء سام وخرجنـا ونحـن ابنـاء حام

قلت بل خرجتم أيها الأديب وأنتم في الحقيقة أبناء بارد لا أبناء حامي . وقد نظمت أنا هذا الكلام فقلت :

اراكم عنـد ذا الحمام قوماً وقعتـم في المضـايق والزحام
وأبنـا بارد أنتـم فلـم ذا تقـول بانـكم أبنـاء حام

ومقصود هذا الناظم أنهم دخلوه بيضاً وخرجوا منه سوداً لشدة البرد التي بها تحصل الكمودة في اللون والزرقة في الجسد(١٦٠)] .

وقال آخر رحمه الله تعالى(١٦١) :)

وحَمَّـام سوء وخيم الهوى قليل المياه كثـير الزحام
فما للقيام به من قعود ولا للقعـود به من قيام
حنياتـه عطفـاء القسى وقطراتـه صائِبـات السهام

وقال آخر رحمه الله تعالى :

حمامنـا من ضيقهـا تشتكي كأنهـا صدرٌ وقـد أحرجوه
فهـي لظـىً نزاعـة للشوى وماؤهـا كالمهـل يشـوى الوجوه

وقال اخر/

حمامـكم مثـل ليالي الشتا مظلمـة مكدرة(١٦٢) بارده

---

(١٥٩) ديوانه ص ٤٧٩ .

(١٦٠) ساقط من «هـ» و «ت» .

(١٦١) الأبيات في المطالع ج٢ ص ١٧.

(١٦٢) (ح) منكدره .

مكبّسٌ أفتك من عنتر ودالك أشفق منَ والده

وقال الحكيم شعبان بن سليم أديب عصري «مضمنا»

يا قَبَّح الله حماماً نزلت به يُنازع الحرفيه صحة البَدَن
بليت فيه بقوم لاخلاق لهم عارين من حلل كاسين من درنِ

وقال فتيان الشاغوري(١٦٣) رحمه الله تعالى وقد دخل الحمام وماؤها شديد الحرارة وقد كان شاخ وطعن في السن .

أرى ماء حمامكم كالحميم نكابد منه عناءً وبؤسا
وعهد بكم تسمطوان(١٦٤) الجد (م) ي فما بالكم تسمطون التيوسا(١٦٥)

[وقلت أنا في حمام شديد الحرّ دَخلْته وكانت الأيام أشد وقت من برد الشتاء :

شب الضرام بملة(١٦٦) الحمام أقبح من عتا
فدعوته قلت اتَّئِدْ بالقوم يا نعم الفتى
حتى أزوأر وقال لي «النار فاكهة الشتا»

وقلت أيضا مصدراً ومعجزاً للأربعة الأبيات من «سقط الزند(١٦٧)» لأبي العلاء المعري رحمه الله في الشمعة وذلك التصدير والتعجيز في مليحة من الجواري السمر المائل لونها إلى صفرة الذهب دَخلَتْ الحمام فجار حره عليها وهي صابرة ومتجلدة حتى أستوفت عمل حَمَّامها بكماله :

(وصفراء لون التبِر مثلي جليدة) لها قد غلب الحمام يسرع بالسَّبْك
على حره أغضت كما قد تجلدت (على نوب الأيام والعيشة الضنك)
(تريك إبتساماً دائِما وتجلداً) على حر صدر منه جار ولا تشكى

---

(١٦٣) شاعر شامي ولد سنة ٥٣٣ وتوفي سنة ٦١٥ انظر حياته ودراسة شعره في «الأدب في بلاد الشام» لعمر موسى باشا ص ٢٨٨ .

(١٦٤) سمط يسمط الجدي نتف صوفه .

(١٦٥) ديوان فتيان الشاغوري ص ٢٣٨ .

(١٦٥) الجمر .

(١٦٦) سقط الزند ص ٢٤١ ط دار صادر

(١٦٧) الديوان «نابها» .

(١٦٨) الديوان «اظنكم» .

تدرع في ضيق الخـزاين حسبة (وصبراً على ما نالها وهي في الهلك/)
(ولو نطقت يوماً لقالت حسبتكم) لهول الذي ألقى من الحر في شك
اضنكم إذا سال رشحـي بصدره (تخالون أني من حذار الردى أبكى)
(فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته) إذا ما بـدا للعقـد في عنقـي يحكي
وقد يقطر التعريق من فرط نعمة
(وقد[١٦٩] تدمع الأجفان من شدة الضحك[١٧٠])]

وقلت فيه أيضاً :

في الصَّيف قد وافيت حمامـاً له جوٌ من النـار الكثيفـة يحرَق
فتكاثف الحرَّان حتى خلت لي دومـاً من الغمـرات فيه تزهقْ
فعرقـت ثم عرقـت من هذا وذا عرقـاً به قد كدت يومـاً أغرق
فلـذاك قلـت محَرفـا ومصحفاً عرق على عرق ومثلي يعرق

وهذا النظم كنظم الشيخ جمال الدين ابن نباته رحمه الله تعالى لما اجتمع هو والشيخ جمال الدين علي بن عبد الله بن غانم رحمه الله تعالى في غياض السفرجل وهو قوله :

قد أشبـه الحمام منـزل لهونا فالماء سخـن والأزاهـر تحلَقُ
فلـذاك جسمـي منشـد ومصحف عرق على عرق ومثلي يعرق

ولما سمع الشيخ جمال الدين علي بن عبد الله بن غانم هذا النظم قال رحمه الله تعالى :

ما أشْبَـه الحمام منـزل لهونا إلا لمعنـىً راق فيه المنطق
فالـدوح مثـل قبابـه والزهـر كا لجامـات فيه ومـاؤه يتدفق

وقال [الشيخ صدر الدين بن عبد الحق[١٧١]] في «الاقتباس» [و«الاكتفى»]

جهنـم حمامـكم نارها تقطـع أكبادنـا بالظما
وفيهـا عصـاة لهـم صيحة «وإن يستغيثـوا يغاثـوا بما[١٧٢]»

(١٦٩) الديوان «مقد» .
(١٧٠) ساقط من (هـ) و (ت) .
(١٧١) زيادة من «ح» .
(١٧٢) من الآية ٢٩ سورة الكهف .

وقال آخر وقيه «تورية» واكتفى

فرَّط في جَنب الإلـه من أتى حمامـكم وكابـد الحَمّاما
ولـم يجـد ماء به ذو حاجة حتى تلا «يا حسرتـي على ما[١٧٣]»

وقال صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى[١٧٤] :

إن حمامكم قد ضمت (م) حميا وحمّاما فهي مثل النارُ ساءت مستقـرّاً
ومقاما[١٧٥]»

وقال الشيخ بدر الدين الصاحب[١٧٦] رحمه الله تعالى «مضمنا» في ذم حمام أيضاً[١٧٧] :

وحمـام قليل الماء داج وفيه ألف شيطـان رجيم
ولا غـير المزاحـم من رفيق ولا غـير المدامـع من حميم
طلبنـا ماءه فحنـا علينا حنـو المرضعـات على الفطيم
ونقطنـا برشـح بعـد رشح كمصٍّ من أبـاريق النديم
يسـد الحـرَّ عنّـا في شتاءٍ فيحجبـه ويأذن للنسيم
يروع بهولـه من حَلَّ فيه فيحسـب أنّـه هول الجحيم

[دخل ابو بكر[١٧٨] بن محمد بن عمار حماماً بحصن «شقورة[١٧٩]» فالتمس نورة ليستعملها فيه فلم يجدها فاستعمل الموسى بدلاً عنها وقال[١٨٠] :

---

(١٧٣) اكتفاء من قوله تعالى «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله «الآية ٥٦ سورة الزمر .

(١٧٤) ديوانه ص ٦٣٨ .

(١٧٥) سورة الفرقان الآية ٦٦ .

(١٧٦) هو الأديب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ولد سنة ٥٨٦ ، وعاش بدمشق توفي سنة ٦٦٢ «الأدب في بلاد الشام» للدكتور عمر موسى باشا ص ٣٢٣ .

(١٧٧) الأبيات أوردها صاحب معاهد التنصيص ج ١ ص ٨٥ ط القاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

(١٧٨) شاعر أندلسي قتل سنة ٤٧٩ «انظر البيئة الأندلسية ص ٥٣٦» .

(١٧٩) من الأعمال الأندلس من حيان (نفح ١/ ٤٨٠) قلت وردت في الأصل بالسين المهملة .

(١٨٠) انظر هما في الغيث المسجم ج ١ ص ٢٦١ .

شقورة شر دار وبوسها شر بؤسى
عدمت هرون فيها فظلت أطلب موسى

قلت أراد عَدَمْتُ عكس هرون فيها لأن عكسه نوره لكنه لم يسعده النظم على مراده ويكون قصده إني عدمت هرون أي حروف نوره لا على الترتيب بل المقصود مجموع حروف نوره وإن لم يكن على الترتيب[181]] .

دخل محمد بن شرف القيرواني حماماً وهو إذ ذاك أعور العين فقال في ذمه :

كأنما حمامنا   فقحة النتن والظلمة والضِّيق
كأنـي في وسطها «فيشه»   «ألوطِها» والعرق الريق[183]/

فلما وقف ابن رشيق[184] على هذين البيتين كتب تحتها ثالثا وهو قوله :

وأنت أيضاً أعور أصلع   فصادف التشبيه تحقيق[185]

قلت قوله فيشه هي بفتح الفاء وسكون اليا المثنية التحتيه وبالشين المعجمة راس الذكر[186].

وقال المحَّار في حمام بطل نصفها

سحقا لحمام الأمير التي   رَقَّت بها من بعده الحال
حل بها الفالج من بردها   فجنبها الواحد بطَّال

وقال بعض الأدباء المتأخرين :

ألا رب حَمَّام بدا لي حميمه   وظاهره ماء وباطنه نار
كإخوان هذا العصر من تلق منهم   فللود إعلان وللحقد إسرار

وهذا يشبه ما نظمته أنا مضَمناً وقد دخلت الحَّمام ومعي صديق معروف يقال له السودي بضم السين المهملة المشددة فقلت :

---

(١٨١) ساقط من (هـ) و (ت) .

(١٨٢) شاعر واديب توفي سنة ٤٦٠ «الأعلام» .

(١٨٣) أوردهما صاحب الغيث المسجم ج ١ ص ٣٨٨ .

(١٨٤) هو الحسن بن رشيق القيرواني توفي سنة ٤٦٣ .

(١٨٥) أورده الصفدي في الغيث ج ٢ ص ٣٨٨ .

(١٨٦) هو عمر بن مسعود بن عمر المحَّار الحلبي نزيل حماه شاعر توفي سنة ٧١١ «الأعلام ج ٥ ص ٦٦» .

قد دخلت الحمام في يوم حر وصحيبي ذاك النديمُ السودي
(قال شبه قلت صدر حسود خالطته مكارم المحسود)

١٨٧ وأصله قول ابن وهبون في فرن :

رب فرن رأيته يتلظى وربيع مخالطي وعقيدي
قال شَبه قلت صدر حسود خالطته مكارم المحسودي

[وقلت أنا أيضاً :

عزيزي من حَمام كرب ووحشة بدا عَيْبه للداخلين وشينه
فلو لم يكن في صدره حل حزنه لما سخنت عند(١٨٨) التفجر عينه(١٨٩)]

وقلت أيضاً مع الجناس التام :

ما بال ذا الحمام من قبحه يزيد حسن الخلق تشويها
آهٍ على الأجساد من ناره فانها في الصدر تشويها

وقلت عند إخافة أصابت أهل صنعاء اليمن المحروسة وفيها إذ ذاك حمام يقال له «الجلا (١٩٠)» بكسرالجيم ففي النظم «التورية» .

صنعاء غدت دار خوف من طوارقهاوصار حَمَّامها بالنار مشتعلا
فلن ترى قط في ساحات مربعها من المحاسن إلاَّ خايفا وَجِلاَ

[وأنشدني السيد العلامة الأديب محمد بن إسماعيل الأمير(١٩١) متَّع الله بآدابه من لفظه لنفسه في حمام «الجلا» المذكور قوله :

---

(١٨٧) هو ابو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي الأندلسي توفي سنة ٤٨٠ وهو من شعراء المعتمد .

(١٨٨) في «ح» أستحلت عينه .

(١٨٩) رواية نسختي (هـ) و (ت) :

ان حمام داركم اظهرا الكرب مشينه
فنارِ من البلا اسخن الله عينه

(١٩٠) هو شمال مسجد الجلا وشرقي مجرى السيل بصنعاء «خطط صنعاء» .

(١٩١) من العلماء الأدباء توفي سنة ١١٨٢ انظر ترجمته وقائمة بمؤلفاته في بحثنا مؤلفات محمد بن اسماعيل الأمير في مجلة الإكليل .

دخلت حماماً به كل زحام وامتلا
صدّع رأسي فلذا سمي بحمام «الجلا[192]»

وقلت في ذم حمام بارد

قبحاً لذا الحمام قد رويت لنا الآلام عنه
لا ترجُ منه سخونة فالزمهرير أحرّ منه

وقلت أيضاً فيه

وحَمام شديد البرد قاست نفوس فيه أسباب المنون
يقول لسان حال منه جهراً إذا جاء الشّتا فأدفئوني

وقلت فيه أيضاً :

قال ذا الحمام عمري طائل فلذا برد الشتا يؤلمني
لا أحسّ النار ان ما أضرمت أنا شيخ والشتا يهرمني

وفي هذا البيت والذي قبله إشارة إلى ما قاله الشاعر من الشواهد النحوية

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يهرمه الشتاء[193]

وقلت فيه أيضا :

وَحمام سوء به الجسم قد تغيَّرَ من برده واكفهرّ
فلو دخل الكلب فيه عوى وصاح من البرد جَهْراً وهرّ

وهرير الكلب هو الصوت الذي يخرج منه دون نباحه وذلك من قلة صبره على البرد . ومنه قولهم «شر أهر ذاناب[194]» . وقد مَثّل به النحويون في كون المبتدأ قد يقع نكرة إذا تخصّصت تلك النكرة بأي وجه فشر نكرة وهو مبتدأ وأهر فعل ماض فاعله فيه . وذا مفعول أهرّ وناب مضاف إليه وتخصّص المبتدأ بأنه فاعل في المعنى لأن معناه ما أهر ذا ناب إلاّ شر

وقلت فيه :

وحَمّام به برد شديد لعمري ما رأينا منه أردى
إذا ما الثلج في صدرٍ به قد تساقط للسخونة مات بردا

---

(١٩٢) لم أجده في ديوانه المطبوع .

(١٩٣) هو للربيع بن ضبع الفزاري أورده إبن هشام في شرح شذور الذهب ص ٤٢٥

(١٩٤) أنظر هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني ص ٣١٦ والمستقصى ج ٢ ص ١٣٠

وقلت فيه :

أقبح بحمام به برده ... فماؤه في حوضه قد عذُبْ
أو سقط الثلج على صدره ... منعقدا من برده لم يذب

وقلت في ذم حمام مع الجناس

حِماما أرى حَمامنا إذا دخلته ... فهاك استمع ما قلت عند هجائه
ألا وأعتمد في حائه الكسر صاحبي ... وخفف هديت الرشد ميم هجائه][195]

قال أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكره الهاشمي[196] [من ولد علي بن المهدي][197] دخلت يوما إلى حمام أبي موسى وخرجت منه وقد سرق مداسي فعدت إلى داري حافيا وقلت :

إليك أذم حمام ابن موسى ... وإن فاق المنى طيبا وحرًّا
تكاثرت اللصوص عليه حتى ... ليحفى من يطيب به ويعرا
ولم أفقد به ثوبا ولكن ... دخلت محمد وخرجت بشرا[198]

وكتب الشيخ الامام جمال الدين محمد بن نباته المصري رحمه الله تعالى . إلى ابن معبد ـ وكان المتولي لدمشق المحروسة ـ يشكو من حمام سرق فيها شاشة ما صورته :[199]

يقبل الأرض مستجيرا بهذا البيت الذي لا يذل جاره . مستعينا بكرمه الذي ملأت الأقطار أخباره . فما عبر المملوك في عمره أحرّ من هذا الحمام . ولا نكس راسه الغريب مثل هذه الأيام . يا للعواطف العربية . ويا لمراحم النفوس الأبية . فوالله لقد خف راس المملوك من الجهتين عقله وشاشه . ولقد تعوض من شاش عمته العربية . مخدة فراشه . ولقد أخذت منه هذه الحمام المتلفة ولقد نشفته الوساوس فبئس الحمام والمنشفة . وهذا وقت اغاثة الملهوف والرغبة في

(١٩٥) ما بين المعقوفتين ساقط من «هـ» و«ت»

(١٩٦) شاعر ماجن توفي سنة ٣٨٥ هـ

(١٩٧) ساقط من «هـ»

(١٩٨) انظر هذا المقطع في الحمامات الدمشقية ص ٢١٢ وشرح مقامات الحريري للشريشي

(١٩٩) انظر ايضا في الحمامات الدمشقية ص ٢١٢ ومطالع البدور ج٢ ص ١٦

إسداء المعروف لاقطع الله عن أرواح المضطرين ترويح هباته ولا عطلت من مننه المنتظمة اجياد عفاته بمنه وكرمه والسلام .

ويعجبني في المفاضلة بين الحمامات ما جاء للشيخ ابن نباته المصري رحمه الله لما فضّل حمامات مصر على حمامات الشام فقال :

احواض حمام الشام أتسمعي لي كلمتين[٢٠٠]
لا تذكري أحواض مصر فأنت دون القلتين[٢٠١ ٢٠٢]

أقول لأن القلتين[٢٠٣] نهر أو محل بمصر ولهذا هو معنى هذين البيتين وفي الحديث عنه ﷺ «اذا بلغ قلتين لم يحمل خبثاً» وفي بعض الروايات لم يحمل الخبث بالتعريف . وقد أختلف في معناه فقال الإمام الشافعي رضي الله عنه لقوته فلا ينجس . وأبو حنيفة رضي الله عنه قال لضعفه فينجس .

قال العلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي رحمه الله تعالى والأول هو الظاهر وإلا لم يكن لتعليقه على بلوغ القلتين معنىً لأن أقل منهما يتنجس لضعفه انتهى كلامه رضي الله عنه .

وقد استنصر الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى لحمامات الشام على حمامات مصر مناقضاً للجمال ابن نباته في نظمه هذا فقال :

إليك حياض حمامات مصر ولا تتكثري عندي بمين
حياض الشام أحلى منك ماء وأظهر وهي دون القلتين[٢٠٥]

(تنبيه) الحمّام من جملة الأشياء التي نص عليها العلماء أنها من شروط المِصرِ ولا يسمى المصر مصراً إلا إذا جمعها وهي سبعة بينّها نظم مولانا وأستاذنا ووالدنا

---

(٢٠٠) ديوانه لفظتين

(٢٠١) ديوانه مقلتين

(٢٠٢) انظرهما في ديوان ابن نباته ص ٥٣٧ ومطلع البدور للغزولي ج ٢ ص ١٢ ونفح الطيب ج ٢/ ٤٠٤

(٢٠٣) في المراصد قلته قربه حسنه تعرف بسواقي قلته بالصعيد من شرقي النيل دون اخميم «مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١١١٦»

(٢٠٤) حديث ورد من عدة طرق «المعجم الكبير ج ١ ص ٩١

(٢٠٥) انظرهما في مطلع البدور ج ٢ ص ١٢ ونفح الطيب ج ٢ ص ٤٠٤

العلامة الإمام قاضي القضاة جمال الدين محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي[٢٠٦] رحمه الله تعالى حيث قال :

المصر في صحة التجميع مشترط ... فاسمع حقيقة ما يحويه تفصيلا
والٍ وقاضٍ طبيبٌ جامع وكذا ... سوق ونهر وحمام كما قيلا

(فائدة فقهية) إذا كان الحمام بين شريكين أو شركاء وأراد أحدهم أو كلهم قسمةً فإنه لا يقسم بينهم إلا بالمهاياه[٢٠٧] وذلك على حسب ما يحصل به التّراضي بينهم فإن حصل التشاجر رجعوا إلى رأي الحاكم ، والحاكم يفعل في قدر مدة المهاياة بحسب ما يراه كما نصّ أهل المذهب على ذلك .

(فائدة فقهية) أيضا قال بعض العلماء إذا وقعت نجاسة في أنابيب الحمام الذي يمر فيها الماء إلى الحياض فالظّاهر أن الماء لا ينجس مالم يتغير بها قياسا على قول الإمام الشافعي رضي الله عنه أنّه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضّي به وإن كان قليلا . قال بعضهم ولذا أن الحمامات لم تزل في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطّاهرة كانت تتوارد عليه.فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله ﷺ خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلاّ ما غير طعمه أو ريحه .

(فائدة أصولية) ذكر أهل اصول الفقه الاستحسان عن الحنفية والحنابلة وأنكره غيرهم حتى قال الشافعي رضي الله عنه من استحسن فقد شرّع وقد أختلف في حدّه عندهم وقيل في بعض حدوده أنه العدول عن حكم الدّليل إلى العادة لمصلحة الناس كدخول الحمام من غير تقدير الماء وإنّه لم يستعمل ومن غير تقدير مدة السكون

(فائدة طبية) رؤية الحمّام في النوم تدل على غلبه الحرارة لمزاج الروح الذي هو محل القوة وكذا رؤية ما أشبه الحمام كرؤية النيران والشمس وما أشبه ذلك

---

(٢٠٦) هو العلامة الفقيه محمد بن الحسن بن احمد الحيمي من العلماء الاجلاء له مواقف في الاصلاح توفي سنة ١١١٥ انظر كتابنا «مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٩٣»

(٢٠٧) أي جعلوا لكل واحد منهم هيئة معلومة .

فصل في الكلام على خادم الحمام

اعلم أن من لازم الحمّام وجود حَمّامي. أي خدّام فيه فما فوق يقوم بمؤن من يريد الاستحمام من تغمير وتكبيس وصبَ للماء ونحو ذلك مما تدعو إليه الحاجة وينبغي أن يكون ذلك الخادم ذا صورة حسنة وشمائل لطيفة مستحبة لطيف الذّات حسن السِّمات إن تكلم فبصوت رخيم . وإن راجع[1] في الخطاب فعن ألفظ[2] كالدر النظيم وإن باشر لخدمة[3] فبأيدي لطيفة الخلقة رطبة الململمس لأنه طالما لامس أجساد المترفين التي لا تألف إلا الناعم من الثياب وغيرها .

وما أحسن ما كتبه القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر[4] رحمه الله تعالى في وصف قيم حمام الصوفية :

يقول الفقير الى الله فلان أن أبا الحَجّاج يوسف مازال لأهل الصلاح ميمما وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيماً نديما كم له على جسدي من جسيم . وكم أقبل مخاديمه تعرف في وجوههم نضرة التعيم كم تجرد مع شيخ صالح في خلوة . وكم قال ولي الله يا بشراي لأنه يوسف حين أدلى في حوضه دلوه كم خدم من العلماء والصلحاء إنساناً . وكم ادخر ببركتهم لدينا وأخرى فحصّل من كل واحد شفيعين مؤزرا وعرياناكم حَرّم خدمة له عند أكابر الناس وكم له يد عند جسد ومنة على رأس . وكم شكرته أبشار البشر وكم حك رجلَ رجل صالح فحقق هناك ان السعادة لتلحظ بالحجر . وقد ميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشكر على ما يعان به غيره من طول الفتيلة تتمتع الأجساد من تلطيفه لحمامه بظل

---

(١) راجع

(٢) هـ و«ت» لفظ

(٣) هـ و«ت» بالخدمة

(٤) هو الاديب المنشىء محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان مؤرخ تولى كتابة الانشاء توفي سنة ٦٩٢ «الاعلام ج ٤ ص ٩٨»

ممدود وماء مسكوب وتكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن تكون كالرمح أنبوبا على أنبوب ولو أن لي في كل منبت شعره لسانا يبث الشكر كنت مقصراً .

انتهى مكتوب القاضي محي الدين رحمه الله تعالى(٥)

قال أهل أصول الفقه في كتبهم أن خادم الحمام غير عدل لأنه من ذوي الحرف الدنيّة فان العقلاء يعدونه بها ساقطا غير كفؤ ومن كان بهذه الحيثية فهو غير عدل فلا يصح تقليده عندهم ولو كان مجتهدا .

وقد عد العلماء سكوت الحمامي عن دخول من يدخل الحمام أذنا له في الدخول علم بذلك بقرينة الحال وهو السكوت فلا يحتاج الداخل ان يعقد هو وإياه إجارة صحيحة لأنه يكفي في ذلك العادة قياسا على المحقر وعليه أعني الحمامي تنظيف الحمام مما يماط فيه من الأقذار والأوساخ وإزالة ما أراقه المستحم من السدر والصابون المزلق على أرض الحمام .

وقد عد الإمام الغزالي(٦) رحمه الله تعالى ترك ذلك من المنكرات فلو خرج المستحم وترك ذلك وجاء إنسان فزلق به فوقع فانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضَّمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ على الحمامي التنظيف .

والذي رجّحه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى إيجاب الضَّمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ ادعاه(٧) التنظيف في كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها هكذا قال .

والذي رجَّحه الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام أن الضمان على المستحم الذي تركه في الحمام وخرج حتى قال مالفظه :

وعلى من يكون الضَّمان فيه تردد فيمكن أن يقال أنه على من تركه ويمكن أن يقال انه على الحمامي والأقرب أنه على من تركه لأنه أخص به وأليق والله اعلم انتهى .

و «هـ» وانظر هذا في مطالع البدور ج ٢ ص ١٦

(٦) الاحياء ج ٢ ص ٣٣٤

(٧) هـ و«ت» إعادة .

فأما إذا ذهب على المستحم شيء في الحمَّام من ملبوسه أو غيره فالضمَّان على الحمَّامي إن كان العرف يقتضيه لأنه في حكم الأجير المشترك في ضمان اللباس والطاسة ونحو ذلك . ولا يضمن الا بشرطين :

الأول : أن يضع الثياب في حضرته قيل او في غيرها ان كان العرف يقتضيه انتهى .

أو في حضرة أحد من أعوانه ولا يشترط في وجوب ضمان ما ذهب ان ينقله الحمامي عن موضعه بل يضمنه وإن لم ينقله هذا القوي عند اصحابنا والأقرب إلى أن الاولى بعادة المسلمين فيه سلفاً وخلفاً وبجري العادة تكون الاجارة صحيحة .

الثاني : أن يترك المستحم الثياب في الموضع المعتاد وهو المخلع لا لو أدخلها البيت الداخل وهي إحدى الخزائن فان الحمَّامي لا يضمن والقول قوله في عين ما ذهب بعد تلفه إذا عيَّنه المالك وقال الذاهب علي ثوب حرير فقال الحمامي هو ثوب قطن ونحوه لأن من عينَ بينَّ . اللهم إلاَّ أن يدعي الحمامي بأن الذاهب ثوب ليس من عادة داخل الحمَّام أن يلبسه فإن البيَّنة عليه . قاله الفقيه يوسف بن أحمد[٨] رضي الله عنه . وهو مذهبنا والقول أيضاً قول الحمامي في قدر قيمة الذاهب على داخل الحمَّام قياساً على المغصوب فإن القول في قدر قيمته قول الغاصب . [والذي قاله العلامة يحيى بن أحمد بن علي بن مظفر[٩] رحمه الله تعالى في كتاب «البيان» في الفقه أن الحمامي يضمن ما ذهب في حمامه من اللِّحاف والآنية وغيرها إذا وضع في حضرتـه أو حضرة أعوانه أو حيث يعتاد الوضع فيه في غير محضره لأن حفظ ذلك لايدخل تبعاًفي الاجارةخلافا للشافعي رضي الله عنه هذا كلام إبن مظفر قوله خلافاً للامام الشافعي يعني أنه قال لاَ يضمن الحمامي إلا أن يستأجر المستحم على حفظ الثياب ونحوها والذي جزم به أصحابنا أن ذلك يدخل

---

(٨) هو العلامة يوسف بن احمد عثمان استقر بقرية العين من ثلا واخذ عنه جل الطلبة من مؤلفاته الثمرات والزهور وغيره توفي سنة ٨٣٢ (مصادر الفكر الاسلامي ص ١٩٧)

(٩) هو من علماء اليمن الأفاضل من مؤلفاته البيان الشافي والكواكب توفي سنة ٨٧٥ انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٣

تبعاً للاجارة ولو كانت فاسدة لأن المستحم لو علم أن الحمامي لا يحفظ الثياب لم يدخل الحمام فمن المعلوم إنه ما دفع الأجرة إلا في مقابلة الانتفاع والحفظ .

واعلم أن القياس يمنع من صحة هذه الاجارة لعدم الايجاب والقبول ولجهالة مقدار الوقوف في الحمام والمكان ولما فيه من إتلاف الأعيان لكن قد استحق الحمامي الأجرة استحسانا للاجماع .

قال بعض العلماء وقد أشار في الشرح في بيع المحقرات إلى أن هذه الاجارة صحيحة لأنه قال في بيع المحقرات بغير لفظ أنه توارثه المسلمون خلفاً عن سلف فجاز كالهدايا وكما أجمعوا على دخول الحمام على وجه لا تحصل به شروط الاجارة من ثبات قدر الاجرة وقدر اللبث وقدر الماء فصح ذلك لعادة المسلمين[١٠]

ممن عدّ من ظرفاء خادمي الحمام نصير الدين[١١] الحمامي رحمهالله تعالى الأديب المشهور القائل في حمامه[١٢] :

لي منزل معروفة ينهل جوداً[١٣] كالسحب   أقبل ذاالعذر به وأكرم الجار الجنب

وقال أيضا رحمه الله تعالى[١٤] :

مذ لزمت الحمام صرت فتى لطـ   ـف يداري من لايداريه[١٥]
أعرف حرّ الأشيا وباردها   وآخذ الماء من مجاريه

وكتب هو أيضا إلى سراج الدين الوراق[١٦] رحمه الله تعالى وقد تخلف عن

---

(١٠) زيادة (ح)

(١١) هو النصير بن احمد بن علي المنادي الحمامي كان اديبا يحترف اكتراء الحمامات اجاد في المقطوعات والتورية توفي سنة ٧١٢ «الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٩٣»

(١٢) ذكرهما صاحب خزانة الأدب ص ٣٥٠

(١٣) عبارة الخزانة «غيثا»

(١٤) انظرهما ايضا في خزانة الادب ص ٢٤٩

(١٥) نص الخزانة :
ومذ لزمت الحمام صرت بها   خلا يداري من لايداريه

(١٦) هو ابو حفص عمر بن محمد شاعر اشتغل بالكتابة توفي سنة ٦٩٥ «فوات الوفيات ٢/ ٢١٣»

دخول حمامه وانقطع عنه بالغيبة فقال[١٧] :

وكدرت حمامي لغيبتك التي تكدر من لذاتها صفو مشربي[١٨]
فما كان صدر الحوض منشرحا به[١٩] ولا كان قلب الماء فيه بطيب

أنشدني السيد العلامة الأديب جمال الدين محمد اسماعيل بن صلاح الأمير فسح الله في أجله من لفظه لنفسه وقد دخل حماما من حمامات مدينة صنعاء اليمن المحمية وبه إذ ذاك خادم يلقب بابن شبرين وهو قوله :

لله حمام نزلنا به زين ما فينا من الشين
لقد سعدنا بشقاة به تخدمنا بالعين للعين
فلا تسر شبرا إليه إذا لم تلق فيه إبن شبرين

ما اظرف قول خليلنا الشيخ صارم الدين إبراهيم بن صالح الهندي[٢٠] رحمه الله في خادم حمام حسن جميل :

بالماء وافى ريم حمامنا وصبه صبًا على الصب
وقال لي هل لك في بارد قلت نعم من ريقك العذب

وقال هو أيضا رحمه الله تعالى وقد دخل الحمام فكبسه فيه بعض اعوان الحمامي وهو شيخ أشيب وكان يطمع أن يكبسه غلام جميل اسمه صلاح

ذهبت إلى الحمام كي أذهب الصدًا وادرك من وصل الحبيب نجاحا
فأكذب ظني أن شيخا مكبسي وقد كنت ارجوان يكون «صلاحا»

قلت ليته قابل «الصلاح» بالفساد في البيت الآخر لتتم له التورية في الصلاح كان يقول :

فكبسني شيخ فسادا للذتي وقد كنت ارجو أن يكون صلاحا

---

(١٧) انظرهما في خزانة الأدب لابن حجة ص ٣٥٠

(١٨) ورد هذا الشطر في الخزانة وهكذا . «تكدر فيها العيش من كل شرب»

(١٩) الخزانة «بها»

(٢٠) متأدب له ديوان شعر توفي سنة ١١٠١ «انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٣٣٦»

وقال القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي رحمه الله في مليحه[٢١] قيمة حمام :

قيمة قيل لها لا ترجعي عن مظلمه
قالت وكيف ينقضي «ذلك دين القيمة»

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب رحمه الله تعالى في قيم حمام جميل الصورة حسن الخدمة[٢٢] .

وقيم قيم في حسن صنعته حاز الجمال على لطفٍ[٢٣] من الترف
لو يخدم البدر انقى البدر من كلف لكنه لم يزل ما بي من الكلف

وقال القاضي صلاح الدين خليل بن إيبك[٢٤] الصفدي رحمه الله تعالى فيه أيضا .

بلان[٢٥] حمامنا مِنّا له نظر تحار في وصف حسنه الفكر
عيناه موسى ونبت عارضه له مسنَ وقلبه حجر

أخذ معناه الشيخ زين الدين الوردي رحمه الله تعالى فقال مواليا :

حمامكم فيه قيم منظرة يسبي غسيلني الدمع ثم انشد كذا صبي
جعل مسنه وموسى والحجر نصبي قال ذا عذارى وذا طرفي وذا قلبي

وقال شهاب الدين بن العطار في بلان إسمه موسى :

هيأ البلان موسى خلوة تحيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها قال تستعمل موسى[٢٦]

قلت : وفي قوله تستعمل موسى ما لا يعرب على الفطن من كناية النكاية وقد قدم لها ذكر الخلوة في البيت الأول الذي هو مستوجبه من الزوج للزوجة مع

---

(٢١) (ح) قيم
(٢٢) اوردهما في خزانة الادب ص ٣٢٤
(٢٣) عبارة الخزانة «حسن»
(٢٤) من الادباء المبدعين ولد بصفد من فلسطين وتوفي بمصر سنة ٧٦٤ «الاعلام ٢/ ٣١٥»
(٢٥) خ بلال
(٢٦) ذكرها ابن حجة الحموي في خزانة الأدب ص ٣٣٧ وعدها من مجونه

صحتها كمال المهر على ماقرره أصحابنا للمذهب وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه والإمام الشافعي عليلم في أحد قوليه وقد روى في القول الثاني المشهور عنه بأن الخلوة الصحيحة لا توجب كمال المهر . فانتبه أيها النبيه لهذه النكاية التي رمى الشهاب العطار بها هذا البلان ورجمه بها وليس من الشياطين التي جعل الله تعالى الشهب رجوما لهم كما قال عز من قائل «وجعلناها رجوما للشياطين»(٢٧ ٢٨)

وقلت انا في خادم حمام جميل حسن

لاتخزن المال وابذل ما استطعت لمن ... يلهي بذا الحسن بل يسبي معاينه
وانظر لحمامنا من بعد سلطنة ... في حب ذا الريم قد أفنى خزائنه

وقلت فيه أيضا مع الجناس :

لم أنس ذاك الريم لما أن سبا ... حمّامنا واستل منه كيسه
فلقد ملأ الأقداح فيه لذاك قد ... أفنى خزاينه وعطل كيسه

وقلت فيه :

وشادن أخجل الأغصان منثنياً ... في صدر حمامه بالتّيه إذ خطرا
يميس والرشح منظوم بقامته ... كأنه غصن بان أثمر الدّررا

[وقلت فيه مضمنا والأصل لبدر الدين(٢٩) الغزي في مليح بدا على ثغره حب الشباب :

طربت لشادن الحمام لمّا ... تجلاً فيه عن درٍّ نسيق
رأيت لرشحه لما تبدّى ... على شفتيه درًا في عقيق
فقلت له وحقك ليس هذا ... .سوى حبب على كاس الرحيق

وقلت فيه مع الجناس

أغنت عن المصباح لي غرة ... في ظلمه الحَمَّام أهدى بها
من خادم فيه له أعين ... سحر البرايا تحت أهدابها](٣٠)

---

(٢٧) سورة الملك الاية ٦٧

(٢٨) الى هنا ينتهي النقص من «ت» و«هـ»

(٢٩) هو محمد بن الغزي من ادباء الشام توفي سنة ٩٣٥

(٣٠) ساقط من «ت» و«هـ»

وقلت فيه :

خدّام حَمام لرتبة حسنه ... وجماله دون الأنام تنسما
قد عد من حور الجنان محاسناً ... وأراه يسكن بالدّباس جهنما

وقلت فيه مع الجناس [التام][31]

عيونه وهو المها إذ رنا ... حمته عنا فهي تحمي مهى
وَدّت نفوس الخلق لو أنها ... تديم قربا منه تحميمها

وقلت في خادم جاء بموسى للحلق ونورة

خدام حمامنا المليح أتى ... وبي اشتياق إليه يعروني
لم أنس إذ جاني على عجل ... بطرد موسى وعكس هرون

[أقول لا يخفاك حسن هذا المعنى والمراد أن هذا الخادم جاء بطرد موسى أي بموسى الحلق غير معكوسة في حروفها وجاء بعكس ،هرون، أي نوره فحسن هذا النظم بذكر الطرد والعكس . وبذكر موسى هرون مع كونهما الأخوين المشهورين أعني النبيين الكريمين عليهما الصلاة والسلام، وقد تقدم معنى هذا النظم في نظم ابي بكر محمد بن عمار ونظمي هذا حسن من قول أبي العتاهية[32] :

حلقت لحية موسى باسمه ... وبهرون إذا ما قلبا

وقلت أيضا مضمنا :

حكى الغصن خدام الدباس فتارة ... يعرى وحينا يلبس الحلل الخضرا
فما هو الا الغصن في الصيف والشتا ... فآونة يكسى وآونة يعرى

وأصله قول حسين بن أحمد الجزري الحلبي رحمه الله تعالى :

فان الفتى كالغصن ما دام نابتا ... فآونة يكسى وآونة يعرى][34] [35]

---

(31) ساقط من «ح»

(32) لم أجدهما في ديوانه المطبوع ط اليسوعي

(33) في الاصل الجزار وهو من شعراء الريحانة ج 1 ص 113 وتوفي سنة 1034

(34) من مقطع اوله

أرى الياس عزا والرجاء ذلة الفتى ... وطول المنى عجزا وحب الغنى فقرا

ريحانة الالباء ج 1 ص 120

(35) ساقط من (هـ) و (ت)

وقلت :

وخَـدّام حَمّـام أتانـي ملاطفاً … مع حسنـه حتـى تمـكن من ودّي
وغمزنـي بالرفـق فيه فخلته … يجس اعتـلالي فيه من ألـم الوجد
سبـا مهجتي لما تحـدر رشحه … بخـدٍّ له كالطـل لاح على الورد
ومـازال يسعـى في القيام بخدمتي … بما ليس أصـلاً قط يفعلـه عبدي
وقـال أتبغـي بارداً بعـد ساخن … فقلت نعم إن كان من ريقك الشهد

وقلت لما أجتمع غلمان الحمام حولي للخدمة في خزانة من خزائنه :

وحمـام خزانتـه حوت من … ذويه الخادمـين به حسانه
فهـا أنـا فيه سلطـان مليك … وحـولي فيه أولاد الخزانه

وقلت في معناه ايضا :

دخلـت خزانـة الحمام لمّا … برزت للذتـي بعـد الكمون
وحَفَّـت بي من الغـزلان فيها … ظبـاء شرد بهتـت عيوني
فقـد أصبحـت سلطانـا عظيما … وأولاد الخزانـة يخدموني

وقلت في خادم حمام اكثر من تسخين الماء وفيه الجناس :

لم أنس خدامـاً على لطفه … في طبعـه يسكـن حماماً
برد صدري بأحاديثه … في الصـدر منـه حـين حمّى ما

وقلت في خادم حمام أكثر من تسخين الماء وفيه الجناس ايضا :

خويدم الحمام إذ جئته … أريد في الحمام تحميا
أحمـى لي الماء فناديته … أصبـت لما صرت تحمـى ما

وقلت في خادم حمام جميل وقد ترك العمل في الحمام وفيه التورية ـ لأن الملَّة بفتح الميم وفتح اللام المشددة محل من الحمام معروف وهو بيت(٣٦) النار التي توقد فيه :

حمامنـا عنـه ولّىً … من قده غصـن رمله
وقـد قلا منـه صدراً … رحـب الفنـاء وملّه

---

(٣٦) هو الموقد ويوجد بالقسم الداخلي لايقاد الوقود انظر «الحمامات الدمشقية وتقاليدها» للاستاذ منير الكيال ط دمشق سنة ١٩٦٤

وقال الحكيم شعبان بن سليم أديب عصري في خادم حمام جميل :

لو خلت في الحمام مائس قده ... وجبينه كالبدر في شعبان
ورأيت وردا تحت نرجس لحظه ... لعجبت للجنات في النيران

قلت لو قال في البيت الأول :

لو خلت في الحمام مائس قده ... إذ مال عجبا ميلة الأغصان

لكان من الحسن بمثابة فإن ذكر ميلان القد ميلة الأغصان يناسب قوله في المصراع الأول مائس قده وذكر الأغصان يناسب ذكر الورد والنرجس اللذين ذكرهما في المصراع الأول من البيت الثاني فان الجنَّات المذكورة في البيت الآخر من لازمها وجود هذه الثلاثة الأشياء فيها فالمناسبة ظاهرة حتى يكون لحصول التعجب . مع قوله لعجبت للجنات موقع ملائم بوجود هذه الثلاثة الاشياء في النيران وهي لا توجد إلاّ في الجنات وأما ذكر البدر في قوله وجبينه كالبدر في شعبان فغير مناسب وملائم للمراد في النظم كما ترى(٣٧)

وقلت أنا في خادم كان بحَمَّام شبام(٣٨) كوكبان المحمي واسمه علي مُسْلي بضم الميم وسكون السين المهملة وهو ذو طبع لطيف [يحفظ من رقائق الآداب ما يلحقه بذوي الألباب ويملي من الصدر في الصدر ما يترفع له عند سامعه القدر . وقد سمعت من إملائه كل معنى غريب يملأ برطبه الجنى الجراب والجريب](٣٩) :

وخادم في دباس للهم والغم يجلي
فلست أحزن منه وكيف يحزن مسلي

[وكتبت له إلى عمنا العماد الوزير الخطيب القاضي يحيى بن الحسن الحيمي(٤٠) سقى الله ضريحه الحيا منبها له على تذكير المولى الأمير الحسين بن عبد القادر(٤١) دَمَّث القطر مَلْحَده وَعَده بتعيين دست لماء الحَمَّام كان قد طلبه منه وفي

(٣٧) زيادة «ح»

(٣٨) بكسر الشين تحت جبل كوكبان على مسافة مرحلة من صنعاء «شرح ذيل اجود المسلسلات ص ١٧٧»

(٣٩) ساقط من «هـ» و«ت»

(٤٠) ترجمته في نشر العرف ج ٢ ص ٨٤٤

(٤١) من الادباء الوزراء توفي سنة ١١١٢ انظر ترجمته في نشر العرف ج ١ ص ٥٦١

النظم الاستخدام بالضمير :

خدام حمامنا أتاكم لما عرفتم من الاشارة
عجل له الدست مسخْناً لازلت فيه من الوزاره[42]]

وقلت في خادم الحمام وفيه التورية

قلت لمن ظل في دباس. يخدم في الناس كل ريّس
غَمّز بذا الصدر صدر قوم واخدم به عاقلاً وكيّس

وهو مثلما قاله السيد ضياء الدين عيسى بن محمد بن عبد القادر[43] فسح الله تعالى في أجله كما أنشدنيه من لفظه لنفسه ففيه التورية أيضا وهو قوله :

دع الذم يا ذا الحجى للذي بحمامنا صار كالريّس
فاني أرى كل حمامي غبي يقال له كيّس

وقال الفقيه الأديب ضياء الدين زيد بن علي بن قيس المعروف بالخيواني[44] من أهل العصر فسح الله في أيّامه وهو من توافق الخواطر ووقع الحافر على الحافر .

دخلت حمامكم فوافى خويدم حاذق مكبّس
وقد ألفيتني لبيباً قلت نعم يا فتى وكيّس

ولما دخل السيد الأديب العصري رضي الدين جعفر بن المطهر الجرموزي[45] رحمه الله تعالى [الحمام هو وصديق له فاتفق ان تولى خدمة ذلك الصديق رجل حمامي ألحى فلما أخذ في خدمته جعل العرق يتساقط من لحيته عليه فقال السيد جعفر][46] رحمه الله تعالى على لسانه بديها :

خويدم الحمام ذو لحية مثالها في الطول لا يشهر
قلنا وقد بلّلنا ماؤها ما ذاك إلاّ عارض ممطر

---

(٤٢) ساقط من هـ و(ت)

(٤٣) من العلماء الادباء توفي سنة ١١٤٠ «نشر العرف ج ٢ ص ٣٣٨»

(٤٤) اديب وشاعر توفي سنة ١١٥٠ «نشر العرف ج ١ ص ٦٨٣»

(٤٥) من الشعراء تولى ناحية العدين توفي سنة ١١٩٦ (البدر الطالع ج ١ ص ١٨٣

(٤٦) ساقط من (ح)

ولمّا دخل حمام شبام كوكبان المحروس عمّنا العماد الوزير الخطيب القاضي عماد الدين يحيى بن الحسن بن أحمد الحيمي الكوكباني رحمه الله تعالى صادف دخوله فيه برداً فشكا برده إلى المولى الحسين بن عبد القادر سقى الله ثراه لأنه الذي أسسه وأمر بعمارته . وفي الحمام المذكور إذ ذاك حمامي يلقب بالخزاق بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي بعدها ألف وقاف فقال المولى الحسين رحمه الله تعالى :

محاسن ذلك الحمام أضحت ... مكملة على حسب الوفاق
فلم يبرد لنقصان ولكن ... أتاه البرد من قبل الخزاق

وقال القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي رحمه الله تعالى في ذم قيم حمام أسود :

حمامكم قيمه أسود ... هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمي أظفاره ... يا قوم هذا الأسود السالخ

قلت الأسود السالخ هو اسم من أسماء الحية . ولو أنه قال سلخ الجسم بأظفاره لكان أحسن مع قوله هذا الأسود السالخ كما لا يخفى .

وقال ابن أبي الأصبع في ذم قيم حمام ، نسبه اليه صاحب كتاب «معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص»[٤٧] ونسبه صاحب «مطالع البدور» الى شيخ الشيوخ الأنصاري صاحب حماه وهو :

وقيم كَلَّمت جسمي أنامله ... بغير ألسنة تكليم خرصان
إن أمسك اليد مني كاد يكسرها ... أو سرَّح الشعر من فوديَّ آذاني
وليس يمسك إمساكاً بمعرفة ... ولا يسرح تسريحاً بإحسان

وقلت أنا في خادم حمام يسمى مالكا في طبعه غلظة وكثافة :

رأيت في الحمام من ... لرقه لا يرحم
فقلت هذا مالك ... وهذه جهنم

وقلت فيه أيضا :

(٤٧) معاهد التشخيص ج ٢ ص ١٨٢ ومطالع البدور ج ٢ ص ١٣

عن داخلي الحمام لا تسأل فقد ضاقت عليهم في الجحيم مسالك
ودوا مماتهم لذلك أنهم نادوا جميعا كلهم يا مالك

أقول في هذا اشارة الى قول الله تعالى سبحانه حكاية لحال أهل النار «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون»(٤٨)

[وقلت مضمنا للبيت الآخر برمته وهو للقاضي زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله تعالى :

صاحب حمام أهان ماجداً بين الملا
لما علا من فوقه مكيسا مذللا
قلت له معظما لقدره محتفلا
لا تحملن إهانة من صاحب وإن علا](٤٩)

فصل في الكلام على دخول الحمام

وعلى ما ينبغي لداخله وفي الكلام على من أحسن اعتذاره بدخوله ووصف وجه دخول الحمام وحكى ما أتفق فيه وفي الكلام على من دخله من الحسان .

أما دخول الحمام فلا بأس به ومن المستحب عند الشافعية لدخوله الغسل كما صرح به في «اللّباب»(١) من كتبهم .

قال الإمام ابو بكر محمد بن منصور المعروف بابن السمعاني الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن دخول الحمام ما لفظه : وجملة القول فيه أنه مباح للرجال بشرط التستر وغض البصر انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وقد صحَّ دخول أصحاب رسول الله ﷺ حمَّامات الشام .

وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يدخل حَمَّاماً قط .

قال الامام العلامة ابن قيم الجوزية رضي الله عنه في كتاب «زاد المعاد إلى هدي خير العباد» عند ذكر النبي صلى الله عليه واله وسلم ما لفظه :

ولم يدخل حماماً قط ولعله ما رآه بعينه ولم يصح في الحمام حديث انتهى كلامه بلفظه وحروفه .

[وقال السمعاني بسنده الى فرقد السنجي أنه قال : ما أتى حماماً قط ولا أكل ثوماً ولا بصلاً ولا كرّاثاً](٢)

---

(١) يعني به كتاب اللباب للقزويني (كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٤٣) .

(٢) ساقط من «هـ» و «ت» (٢) هذا من كلام الغزالي في الاحياء ج ١ ص ١٣٨

وقد روى أبو هريرة[٣] يرفعه عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : نعم البيت الحمام [يدخله المسلم فيسأل الله تعالى الجنة ويستعيذه من النار][٤]

وروي عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما : نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار .

وروى الامام يحيى بن حمزة عليه السلام في الانتصار عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : نعم البيت الحمام يذهب الدرن ويذكر/ بالآخرة .

وقال بعضهم بئس البيت الحمام[٥]

وفي رواية بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء .

وروى الامام يحيى بن حمزة في الانتصار عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال بئس البيت الحمام يذهب الحياء ويبدىء العورة[٦]

[وقال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في الجنة بئس البيت الحمام تكشف فيه عورات وترفع فيه أصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى .][٧]

وفي هذا جميعه[٨] تصريح بذكر آفة الحمام وتلويح بوجه قبحه ولكن التصريح بآفته والتلويح بوجه قبحه لا يمنعان من دخوله لطلب فائدته عند الاحتراز عن آفته وقبحه ولكن فعلى داخله التزام آداب من الواجبات والسنن والأمور الطبية :

---

(٣) في «هـ» و «ت» «بعضهم» وكذا في الاحياء

(٤) ساقط من «هـ» و «ت»

(٥) في «هـ» و «ت» بزيادة «وفي رواية بئس البيت بيت الحمام»

(٦) رواية عائشة «بئس الحمام بيت لايستر وماء لا يطهر» الفتح الكبير ج ٢ ص ٩ .

(٧) ساقط من «هـ» و «ت»

(٨) عبارة «هـ» و «ت» وهذا تصريح .

أما الواجبات[٩] فعليه واجبان اثنان في عورته وواجبان اثنان في عورة غيره .

فالأول من الواجبين في عورته صيانتها من نظر الغير فان كشف العورات في الحمام معدود من المنكرات ولذا عدّ كاشف عورته في الحمام غير عدل .

روي عن المزني قال قال الشافعي فيمن يكشف في الحمام عورته لا تقبل شهادته .

قلت وقد صرح ابن مظفر صاحب «البيان» في الفقه حاكيا عن بعض العلماء ما يفعله الانسان عمداً لغير عذر مما يدل على الجرأة وذلك كدخول الحمام عارياً بين الملأ مما يجرح به الشاهد كما صرح في كتاب (الشهادات) وصرح أيضا في «البيان» في باب اللباس ان دخول الانسان الحمام في الخلوة عارياً مكروه لأن الملائكة يحضرون عنده انتهى .

وقد صرَّح به الامام يحيى بن حمزة عليه السلام في «الانتصار» بأن دخول الحمام من غير مئزر يحرم .

[وقال الإمام المهدي عليه السلام ويستحب الحمَّام مع المئزر لقوله ﷺ «نعم البيت الحمام يذهب الدرن/ ويذكر بالآخرة» ويحظر من غير مئزر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «بئس البيت الحمَّام يبدي العورة ويذهب الحياء» انتهى كلامه .

قلت: قوله ويحظر هو بالحا المهملة والظاء المشالة والراء من الحظر بفتح الحاء وسكون الظاء المشالة وهو الحجر والمنع وهو خلاف الإباحة . والمحظور لغة المحرم الممنوع الذي يذم فاعله شرعاً ويقال جاء فلان بالحظر أي المستبشع من الأمر وأما في الاصطلاح فالمحظور هو ما يُثاب الانسان على تركه ويعاقب على فعله .

نعم الكراهة عند الفقهاء تنقسم الى قسمين كراهة تنزيه وكراهة حظر .

وقد أذكرني هذا الاستطراد في الكلام على الحظر بنظم خاطبت به رجلاً يلقب بالشامي بالشين المعجمة وقد كره التنزه في رياض محل يسمى «الحظر» وهي جهة من جهات «خولان» مشهورة فقلت وفيه توريتان الأولى في قوله تنزيه والثانية في قوله «الحظر» كما ترى :

لقد كره الشامي روضات نزهة — محففة الأثمار بالورق الخضر
كراهة تنزيه بها غير أنها — اذا حققت تلك الكراهة للحظر[10]

والثاني من الواجبين في عورة داخل الحمام وصيانتها من لمس الغير لها فلا يتولى أمرها وازالة درنها الا هو بيده فيمنع الدلك لجسده من لمس فخذيه وما بين سرته الى عانته ولو لمسها بحايل وهو الكيس المعروف الذي يدلك به الجسد فان لمس العورة من الغير حرام كالنظر اليها .

وفي جواز لمس ما ليس بعورة من البدن لازالة الوسخ احتمال والأقيس التحريم اذ لمس العورة في التحريم لحق بالنظر اليها فينبغي أن يلحق لمس ما ليس بالعورة من بقية الفخذ بالعورة منه .

وأما دلك رأسه ويديه وظهره فلا بأس ان يفعله غيره . فقد نقل عن يوسف بن أسباط[11] أنه أوصى بأن يغسله انسان لم يكن من أصحابه وقال/ [12] لأنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وأنه ليفرح بذلك .

ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعَبْد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة أقحمتني .

ولا يقال يؤخذ من هذا أنه يجوز لداخل الحمام الإنبطاح على الوجه للدَّلاك وتغميز الأفخاذ والأعجاز فإن الإنبطاح مكروه وإن كان مع حايل ولكنه لا يكون محظورا ، إذا لم يخش حركة الشهوة .

---

(١٠) زيادة (ح)
(١١) هو من الرجال الزهاد العباد ذكره أبو نعيم في الحلية ج ٨ ص ٢٣٧ .
(١٢) (ت) انه .

والأول : من الواجبين في عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها .

والثاني : أن ينهي عن كشفها لأن النهي عن المنكرات واجب وعليه النهي فيه وإن لم يقبل كلامه ويؤثر لأنه لا يسقط عليه وجوب النهي بمجرد عدم القبول والتاثير وإنما يسقط عنه حيث خاف على نفسه الضرَّب أو الشتم أو وقوع أمر يجري عليه مما هو حرام فليس عليه أن ينهى حراما يؤدي نهيه إلى حرام اخر . فأما اعتقاده أن النهي لا يفيد ولا يقبل ولا يؤثر فلا يكون عذرا له في ترك النهي بل لا بد من النهي فقلما خلى قلب عن تاثير الزجر فيه فلا يجوز ترك النهي ، ولحصول مثل هذه المنكرات صار الحزم عدم دخول الحمام وتركه في الأوقات التي لا تخلو عن كثرة الإجتماع فيه لأنه مظنّة لحصول[13] الكشف عن العورات سيما ما تحت السرة إلى فوق العانة فان الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها .

[قال الإمام الزمخشري[14] رضي الله عنه الحزم ترك الحمام إذ لا يخلو من عورة مكشوفة سيما تحت السرة الى العانه انتهى كلامه[15]] .

ولهذا تستحب تخلية الحمام .

قال بشر بن الحرث[16] رحمه الله تعالى ما أعنف رجلا لا يملك إلاَّ درهما دفعه ليخليٍّ له الحمام ولقد رأى ابن عمر رضي الله عنه في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد / عصبت عيناه بعصابة .

وقال بعضهم لا بأس بدخول الحَمام ولكن بإزارين إزار للعورة وإزار للراس يتقنع به ويحفظ عينه .

وامّا السنن التي على داخل الحمام التزامها تأدّبا :

---

(١٣) (ح) حصول .

(١٤) هو جار الله محمود بن عمر الزمخشري عالم كبير وفاته سنة ٥٣٨ .

(١٥) زيادة في «ح» .

(١٦) هو بشر بن الحرث بن عبد الرحمن المروزي من الزهاد العباد توفي سنة ٢٢٧ «خلاصة تذهيب الكمال ص ٤٨» .

فمنها : النّيه وهي أن تكون نيّته بالدّخول قصد التنظيف المحبوب والتطهر والتزّين للصلاة دون التنعم والترفه .

ومنها : ان لا يدخل بين العشائين وقريبا من الغروب فانه مكروة لأن ذلك وقت انتشار الشياطين . والأحسن الدخول اخر النهار فيما عدا الوقتين المذكورين لمقاربة ذلك وقت النوم والنوم بعد الحمام عظيم النفع .

كذا قيل وعندي أن أحسن الأوقات لدخول الحمام وقت الضحى فإنه قال ابن السمعاني رحمه الله تعالى في تفسير قول الله سبحانه «ونعمة كانوا فيها فاكهين[١٧]» أنها الحمام وقت الضحى انتهى .

أقول لا شك أن الحمام وقت الضحى فيه من الانتعام مالا في غيره من سائر الأوقات فان الإنسان بعد خروجه منه في ذلك الوقت يجد من الأفراح والسرور ما لا يحد بوصف هكذا تتبعنا ذلك عن تجربة ولا ندري ايجد غيرنا ما نجد أم لا ؟ ولا ندري أيضا أذلك لسر في ذلك الوقت أم إنما هولما طرق السَّمع قول ابن السمعاني هذا رسم في الخيال شيئا متواقعا[١٨] . فاذا دخل الإنسان الحمام في ذلك الوقت حصل معه من النعمة مالا يحصل في غيره بسبب التوقع لما ذكر وفي الحقيقه أنه من باب التخيل الوهمي . ومثل هذا يقع كثيرا فإن الوصف له أثر .
وقد نظمت أنا في ذلك مقطوعا بناء على هذا الأصل فقلت :

يا صاح خل الراح في معزل ... أفلح من عن سكره قد صحا
إن كنت ممن يشتهي نعمة ... فبادر الحمام وقت الضحى

ومنها : أن يعطي الحمامي أجرته قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا/ ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة يرفع الجهالة من أحد العِوضين ولأنها تطيب بعد التسليم نفس الحمامي .

[قلت : أمّا زماننا هذا فقد جرى فيه العرف أن المستحم لا يسلم أجرة الحمامي وأعوانه إلا بعد الخروج من الصدر والخزاين وقد صار في المخلع ـ اي

---

(١٧) سورة الدخان الآية ٢٧ .

(١٨) هـ متوقعا وكذا في (ت) .

المسلخ ـ وهذا عندي هو الأوفق لأن من المستحمين سيما الصفراوي من لا يطيل الجلوس في الحمام ولا تطول خدمة الحمامي وأعوانه له فالأجر لازمه على قدر العمل اليسير والحمامي لا يدري مع ذلك قدر العمل اليسير إلاَّ بعد الفراغ ، فإذا أعطاه المستحم الأجره اليسيرة طابت بها نفسه مع تحققه للعمل . ومن المستحمين سيما البلغمي من يطيل الجلوس في الحمام ، وتطول مع ذلك خدمة الحمامي وأعوانه له من تكبيس وتغميز ودلك لجسده بالكيس وصبّ الماء عليه وحمل الماء البارد من خارج الحمام إلى داخله وغير ذلك فالحمامي مع ذلك لا يدري قدر العمل إلاَّ بعد تمامه ، فاذا أعطاه المستحم أجرته وافرة طابت بها نفسه وإن لم يعطه على قدر العمل احتاج أنه يرد اليسير من الأجرة في وجهه ويطالبه بأجرته على قدر العمل وقد يكون من المستحم إذا أعطى الحمامي أجرته قبل الدخول أن يعطيه اليسير من الأجرة ثم تكون منه إطالة الجلوس في الحمام واستعمال الماء الكثير فتقصر الأجرة على قدر العمل فيكون في ذلك غبْن الحمامي في أجرته ويكون في ذلك نوع تعزيز عليه وقد يعبث المستحم بصب الماء الكثير ويستعمل منه فوق المعتاد مع استصحاب الحال بتقديم تسليم الأجرة وأمنه من قبل الحمامي .

ومن السنن التي تليق بالمستحم أن لا يكثر صب الماء وأن يقتصر منه على قدر الحاجة كما سيأتي ذكر ذلك .

والأحسن عندي ما تعوده الناس من تسليم الأجرة بعد الفراغ من أعمال الحمام ليعرف الحمامي مستحقه من الأجرة فله المطالبة بتوفيرها أن حصل / مر المستحم التقصير عليه فيها والله أعلم[١٩]] .

ومنها [أي من السنن التي على داخل الحمام التزامها . تأدَّبا[٢٠]] ان يقدم في الدخول رجله اليسرى ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم .

(١٩) زيادة في (ح) وساقط من «هـ» و «ت» .

(٢٠) زيادة في (ح) وساقط من «هـ» و «ت» .

ومنها أن يدخل وقت الخلوة ويتكلف تخلية الحمام وإن لم يكن في الحمام إلاّ أهل الدين والمتقشفون والمحتاطون عن نظر العورات فإن النظر إلى الأبدان مكشوفة فيها شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتأمل في العورات . ثم أنه لا يخلو أمر الناس في حركة الحمام عن إنكشاف العورات بارتفاع الأزر فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري . ولذا عصب ابن عمر عينه كما تقدَم ذكره .

ومنها : أن لا يدخله إذا رأى عاريا بل يرجع .

ومنها أن لا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في البيت الأول فيكون دخوله تدريجا فيمكث في البيت الأول حتى يألف الهواء الحار ، بالنسبة إلى الذي كان فيه . ثم الثاني فإنه يشبه الأول بوجه مًا ولا يدخل الثالث إلا عند إرادة الخروج فانه مجفف قوي التحليل إلاّ في نحو مصر من البلاد التي ليست تحت حماماتها نار ويمكن أن مثل هذه البلاد الباردة تقابل ما ليس كذلك في غيرها فلا حاجة إلى الاستثناء .

ومنها : ان يذكر بحر الحمام حرَّ النار الآخروية كما قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أوه ، من عذاب الله لما لصق ظهره بجدار الحمّام عند دخوله كما تقدم ذكره . وينبغي له عند الذكر أن يستعيذ بالله تعالى منه ويسأله[٢١] الجنة ويقدر نفسه أنه محبوس في البيت الحار ويقيسه إلى جهنم فأنه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق .

ومنها : أن لا يكثر صبَّ الماء بل يقتصر على قدر الحاجة «فانه المأذون» فيه بقرينة الحال ولو علم الحمامي الزيادة عليه لكرهها/ فهو غير ماذون في الزيادة لا سيما الماء الحار فله علاج وفيه تعب لأنه لا يسخن إلا بمؤنة تلحقه .

ومنها : أن لا يسلم في الدخول على من كان في بيوت الحمام الداخله أعني الخزاين كما نص عليه صاحب (التتمة) فانه قال لا يستحب لداخله يعني الحمام ان يسلم على من فيه لأنه بيت الشيطان ولأن الناس يكونون مشغولين بالتنظيف ونص عليه أيضا الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء[٢٢] :

---

(٢١) (ح) يسأل .

(٢٢) الإحياء ج ٢ ص ٣٣٦ .

ومنها أنه إذا دخل الداخل وسلم عليه ترك جوابه بلفظ السلام ويسكت وإن شاء قال في جوابه عافاك الله ولاباس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام .

ومنها : أن لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن وظاهر كلام السمعاني رضي الله عنه الإطلاق في ذلك فلا يقرأ سراً ولا جهراً والذي نصّ عليه الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب الإحياء أنه لا يقرأ القرآن إلا سرًا فالممنوع عنده الجهر بالقراءة فقط ولعل مرادهما أن الأولى ترك القراءة لأنها مكروهة فقد نقل صاحب (البيان[٢٣]) و (العدة[٢٤]) وغيرهما من الشافعيه أن القراءة لا تكره في الحمام .

قال الصيمري[٢٥] في شرح «الكفاية» ولا [ينبغي[٢٦]] لأحد إذا كان على غائط أو بول أو في الحمام أن يقرأ وليس هذا بصريح في الكراهة إلا أن كلام الحليمي[٢٧] رحمه الله تعالى من ائمة الشافعية في «المنهاج» يقتضي الكراهة كما قال السمعاني .

وقال الشيخ الإمام أبو محمد الجويني[٢٨] رضي الله عنه في «المحيط» أن الأشبه بمذهب الشافعي الكراهة انتهى .

وقد فصَّل قاضي القضاة الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي[٢٩] رضي الله عنه في ذلك تفصيلا ساغ عندي أي مساغ فقال في «الفتاوي»[٣٠] أنه إن

---

(٢٣) هو العلامة يحيى بن ابي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٧ .

(٢٤) لعله يعني به العلامه إبراهيم بن علي الطبري المعروف بالرؤياني المتوفى سنة ٥٢٣ انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١١٢٩ .

(٢٥) هو الحسين بن علي المتوفى سنة ٤٣٦ (الاعلام) .

(٢٦) (هـ) ساقط من (ح) .

(٢٧) هو الحسين بن الحسن الحليمي ولد سنة ٣٣٨ فقيه من مؤلفاته المنهاج المذكور هنا وشعب الايمان توفي سنة ٤٠٣ «الاعلام ج ٢ ص ٢٣٥» .

(٢٨) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله توفي سنة ٤١٩ (أبجد العلوم ح ٣ ص ١١٩) .

(٢٩) فقية مشهور توفي سنة ٧٨٦ هـ .

(٣٠) فتاوى السبكي .

كان في مكان نظيف وليس فيه كشف عورة لم يكره وإلاَّ فيكره انتهى كلامه رضي الله عنه .

وأما الصلاة في الحمام فالذي نص عليه الإمام يحيى بن حمزه عليه السلام أنها تكره الصلاة في الحمامات كراهة تنزية والمراد بذلك بيوت الحمام الداخلة التي يقال لها الخزائن والصدر وليس المقصود المخلع فأمَّا هو فالصلاة جائزة فيه لأنها إنما كرهت الصلاة في الحمام لما يماط فيه من الأذى والمخلع لا يماط فيه شيء من ذلك .

قال علي خليل(٣١) فلو غسلت يعني بيوت الحمام الداخلة زالت الكراهة ومثله في شرح الإبانة(٣٢) وقال محمد(٣٣) أنها لا تزول لأن علة الكراهة كونها وضعت لاماطة النجاسة ولو كانت طاهرة وقد ذكر هذا بعض أصحاب الشافعي وقال بعضهم تكره الصلاة في الحمام مطلقا سواء كانت في بيوته الداخلة أو الخارجة وقد ذهب أصحابنا هذا القول واختاروه .

قلت وهو الذي أقول به أنا وأختاره .

ومنها : أن لا يكثر اللعب بغمس يده وإنائه الطاهرين في الحياض فإن ذلك نوع من العبث هذا إذا كانت يده طاهرة وأناؤه كذلك فإن كانا نجسين فغمسها في الماء القليل من المنكرات .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء في ذكر منكرات الحمام مالفظه :

ومنها غمس اليد والأواني المنجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء إلاَّ على مذهب مالك فلا يجوز

---

(٣١) هو علي بن محمد الخليلي الزيدي من أهل الجيل كان من أتباع المؤيد بالله الهاروني من مؤلفاته المجموع وهو شهير في فقه الامام زيد عاش في أول القرن الخامس «رجال الأزهار ص ٢٥» .

(٣٢) من أمهات فقه مذهب الامام زيد وهو من تأليف الناصر للحق الحسن بن علي الاطروش من أئمة الزيدية في الجيل والديلم توفي سنة ٣٠٤ .

(٣٣) يعني به شارح إلا بانه الفقيه أبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي «رجال الأزهار ص ٣٧» .

الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية فان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الإلتماس واللطف وهو أن يقول أنا محتاج[٣٤] إلى أن تغسل يدك أولا ، ثم تغمسها في الماء وأما أنت فمستغن عن إيذائي وتفويت الطهارة على هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لايمكن الحسبة فيها بالقهر[٣٥] .

وقال الإمام يحيى بن حمزة عليلم[٣٦] في «التصفية» في ذكر منكرات الحمام أيضا ما لفظه : الصورة الثالثة غمس الأيدي والأواني النجسه في المياه القليلة في الحياض/ الصغيرة وغسل الأزرْ والطيسان والأقداح في الحوض . وماؤه قليل فانه منجس للماء على رأي الأكثر من الزيدية والشافعية والحنفية فإنهم يذهبون الى تنجيس الماء القليل وإن لم يتغير بالنجاسة إلاَّ مالك وهو محكي عن القاسم[٣٧] جدّ الهادي عليه السلام من ائمه اهل البيت عليهم السلام فإن اجتمع زيدي ومالكي فليس للزيدي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف . وهو أن يقول إني محتاج الى الماء فاغسل يدك[٣٨] أولا ثم اغمسها في الماء وأنت مستغن عن إيذاي وتنجيس الماء علي لأن ما هذا حاله من جملة المسائل الخلافية والمضطريّات الاجتهادية والمختار عندنا أن الماء القليل لا ينجس إلا بماء غيره من النجاسات من لون أو طعم أو ريح كما قاله القاسم صلوات الله عليه وسلامه ومالك . انتهى كلام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام .

وأما الأمور الطبيّة فينبغي لداخل الحمام من جهة الطب أن يدخله عند آخر الهضم من الطعام بحيث يخرج منه وبه حاجة إلى الطعام والغذاء ولا يدخله على الامتلاء .

---

(٣٤) عبارة الاحياء «انا نحتاج ان نغسل» .
(٣٥) انظر الاحياء ج٢ ص٣٣٤
(٣٦) اختصار عليه السلام
(٣٧) هو الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٤٢ (رجال الازهار ص٣١)
(٣٨) ح «يد» .

[قال الحارث بن كلدة أربعة أشياء تهرم البدن الغشيان(٣٩) على البطنة ودخول الحمام على الامتلا وأكل القديد ـ أي قديد اللحم ـ ومجامعة العجوز انتهى قوله .

وقال الحكيم بزر جمهر أربعة تضعف البدن أكل اللحم القديد وكثر الجماع وطول المكث في الحمام ولبس الثوب الخشن انتهى .

وأيضا فان دخول الحمام على الامتلاء(٤٠)] يورث القولنج ويولدَ الرياح ويوجب السَّدد والاخلاط الغليظة والشحم الكثير وحصول الورم المسمى عند الأطباء البلغمون(٤١) ويولدا الدَّمامل وهي ضرب من الجراح معروف ولا يدخله على الجوع .

قال محمد بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول رأيت في الطب عجبا لمن يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الأكل بعد ان يخرج كيف لا يموت . وعجبت لمن احتجم وبادر / الأكل كيف لا يموت انتهى كلامه(٤٢) .

وايضا فإن دخول الحمام على الجوع يورث الصداع بالأبخرة وهيجان الحرارة والرعشة بالتحليل واليبس العرضي وإسالة الخلط إلى المفاصل ووهن القوى وإملاء البطن بالأخلاط والاهزال كما تقدمت الاشارة إلى هذا جميعه ، وينبغي له ايضا ان تكون افعال الحمام منه معتدلة لا بالإفراط ولا بالتفريط بل يعتمد الحالة المتوسطة فان كثرة اللبث في الحمام مضر ، ولذا يقال في امثال العامة «خذ من الحمام ولا يأخذ منك» . قال بعض الظرفاء في عقد هذا المثل العامي رحمه الله تعالى :

خذ من الحمام واخرج قبل ان ياخذ منكا
حدثن عنه وإلاّ حدث الحمام عنكا

---

(٣٩) كناية عن الجماع .

(٤٠) ساقط من «هـ» و «ت» .

(٤١) في التذكرة لداؤد ج٢ ص١٠٠ الغلغموني ويعرفه بأنه كل ورم حار .

(٤٢) سبق ذكر هذا النص في أول الكتاب وقد أعاده المؤلف هنا سهواً لانّه أعاد تصنيفه مرة أخرى في نسخة (ح) .

وما أظرف قول إمام الأدب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصري رحمه الله تعالى :

وصديق قوي يدي بنوال وأراه من بعد حاول وهني
كان مثل البستان اخذ منه صار مثل الحمام ياخذ مني

والدّلك في الحمام إذا أفرط أهزل البدن وأسال الأخلاط فيه إلى الأعماق وان قل سمّن على غير إعتدال طبيعي كنحو الجراح[٤٣] والتقليل من الدّهن يهيج الحرارة والتكثير منه يرخي وكذا نقع البدن في الأبازير - أعني الحياض - وأجودها المغاطس المشهورة فان التقليل منه يهيج البخار ويفسد الدماغ فسادا عظيما إن لم يبادر إلى غمره بالماء أوّلا والتكثير منه يحلل ويورث الرعشة فالتقليل من هذه الثلاثة التي هي الدلك والدهن ونقع البدن في الحياض مضر والتكثير منها مضر أيضاً والتوسط فيها نافع لأنها من شروط كمال التحميم فإنها فيه عمده .

ولذا سئل الأستاذ عن الحمام فقال الدلك والدهن والانتقاع/

وقال الطبيب من دخل الحمام ولم يتغمز ولم ينتقع فقد جلب الضرر لنفسه قال بعض مفسري كلامه هذا أراد بالغمز الدلك فيكون ككلام الأستاذ .

وقيل أراد به التكيس[٤٤] فيكون أمراً رابعاً .

وقد يقال . التغميز أعم والدلك من لازمه وقدّم الدلك لأنه أول ما يجب أن يعمل قبل التحلل وان تأخر أفسد وإن قدّم عليه الدهن لم يخرج الأوساخ لأن الدهن يحبسها وأتبع[٤٥] الدلك بالدهن لأنه يصلح العضو وينعم البشرة ويحلل ما تحت الجلد بسريانه في المسام التي فتحها الدَّلك[٤٦] وكما ينبغي التوّسط في الحمام حسبما ذكرنا . كذلك[٤٧] أيضا ينبغي الإعتدال في الحالات النفسية [فلا يدخل الحمام صفراوي أشتد به الفرح وارتاض ويدخله الدموي] إذا لم يفرط فيها بشرط أن لا

---

(٤٣) عبارة داؤد الخراج .

(٤٤) داؤد «التكبيس» .

(٤٥) عبارة داود «واتبع الدهن» .

(٤٦) انظر هذا الكلام بنصه في تذكرة داود ج١ ص١٢١

(٤٧) من هنا تبتدى أيضاً عبارة داود ج١ ص١٢١ .

يطيل المكث . وأمّا البلغمي فيدخله وإن افرط فيها وإن طال المكث وبالأولىٰ السوداوي .

وينبغي أيضاً الأعتدال في خلف الأزمنة فيسرع إلى دخوله الصفراوي جائعاً في الصيف ويبطى عكسه ولا يقال انه في الشتاء أنفع مطلقا وإلا[٤٨] الصيف كذلك بل الصحيح التفصيل فيقال هو في الشتاء أنفع ذاتا وضررة[٤٩] عَرَضي من الهواء وهذا يرجح أنه في الصّيف ضار في الذات لإتفاق الحرارتين وهذا أيضاً على إطلاقه فاسد لإمكان الطعن عليه في نفعه العرضي بأن الهوى قد يحل بإفراط بخره .

والحاصل أن ماء الحمام في الشتاء نافع دون هوائه لذي المزاج اليابس والصيف بالعكس بشرط أن يفرط تسخين الماء في الشتاء ويكون إلىٰ البرد أقرب في الصيف ويتوسط في بواقي الأزمنة . وهذا كلام على أوسط الفصول فيعطي الأول حكم ما قبله والآخر حكم ما بعده .

والحمام / جامع للطبائع الأربع فيرطب بالأول ويسخن بالثاني ويخفف بالثالث فمع ذلك تركب منه بالكل ما أردت فإن أردت التجفيف أزلت الماء وانتفعت بالهواء وإن أردت الترطيب سخنت الأرض ورَشَّيت الماء البارد وقد يحصر الماء ويعدل بنحو العود المرطوب والمسك ويصلح العود للمبرود والبنفسج للمحرور ويليق بالمستحم الإستحام بالماء الحار فإن الاستحمام بالبارد من أسباب حصول البهق في الجسد .

[وقال أبو الفرج[٥٠] في كتاب «النساء[٥١]» وينبغي للرجل إذا قضى حاجته في المرأة أن يبادر الىٰ الغسل بالماء الحار دون البارد في الشتاء وفي الصيف وليكن

---

(٤٨) (هـ و (ت) ولا الصيف وكذا عبارة داود في التذكرة ج ١ ص١٢١ .

(٤٩) (ح) ضرورة .

(٥٠) يعني به أبا الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني هو شيخ الاخباريين من مؤلفاته الأغاني الشهير توفي سنة ٣٥٦ (الاعلام ج٤ ص ٢٧٨) .

(٥١) يعني به كتابه «الاماء الشواعر» وهو من الكتب النادرة المفقودة .

ذلك في حمام إن أمكن أو في موضع كنين لا يصل إليه فيه الهواء أنتهى كلامه(٥٢)] .

ويليق بالمستحم إن كانت امرأة عدم الاستحمام كثيراً بالماء الحار فإنه للنساء خاصة مما يضعف شهوة الجماع معهن ويقطع منهن البآة .

ويليق بالمستحم أن يجتنب في الحمام أنواع الاستفراغ والحجامة إذا كان غليظ الخلط فإن ذلك ونحوه مجلبة للسقم والهرم وقيل يجوز الدخول للقى .

ويليق بالمستحم أيضاً على الاطلاق أن يجتنب الجماع في الحمام فإنه يؤ رث الرعشة وربما قتل فجأة (٥٣) .

[قال أبو علي الحسين ابن سينا ويجتنب في الحمام الجماع فإنه يسقط القوة فيوقع في أمراض خطرة .

وقال الرازي في ذكر الجماع أنه ينبغي أن لا يكون على أشياء عدّدها قال ولا في الحمام . ثم قال ينبغي لمن قهرته شهوته أن لا يطيل الجلوس في الحمام .

وينبغي للمستحم أن يجتنب النوم في الحمام فإنه يورث توليد البخار والموت فجأة .

ويجتنب فيه صَبّ الماء على الراس بعد حلق الشعر منه فإن ذلك يوهنه .

ويليق بالمستحم أن لا يشرب الماء في الحَمَّام مهما قدر على أن يصبر عنه فإن اضطر إلى شربه شربه بعد أن يرش الماء أوّلاً على جسده . ويستحم به ليستأنس به البدن ثم يشرب/ بعد ذلك إن لم يجد غنية عن الشرب وإلا فالترك أولى .

قال الرئيس ابو علي الحسين بن سينا ينبغي أن يجتنب في الحمام شرب الأشياء الباردة مثل النقاع والماء البارد فإن فيه خطراً عظيماً جدّاً لأن الشيء البارد إذا حصل في المعدة دفعة واحدة وهجم على الكبد والقلب برَّدهما وأنهك حرارتهما الغريزية وأضعف الأحشاء وهيأها للاستسقاء إنتهى] (٥٤) .

---

(٥٢) ساقط من (هـ) و (ت) .

(٥٣) عبارة داؤد ج١ ص١٢١ وانظر هذا الفصل بأصله في الكتاب المذكور .

(٥٤) زيادة (ح) .

ويليق بالمستحم أن يبول في الحمام قائماً فإن نفع ذلك عظيم قال بعضهم :
بولة في الحمام من المستحم [قائماً] (٥٥) انفع من شربه دواء انتهى .

والبول في الحمام يكون بارداً بالنظر إلى حرارة الحمام وهو حار بالنظر إلى برد الهواء في غير الحمام . ولذا أن صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى لما سئل هجاء رجل رأس قومه لنقصهم لا لكماله وهو يدعي المؤيّد قال :

تالله ما ساد المؤيد قومه   لمزيد فضل وافر الأقسام
لكل زيادته بنسبة نقصه   فضل كبرد البول في الحمام

ويليق بالمستحم أيضاً أن يديم الغسل بالمحلب المطبوخ مع الآس فإن إدامة الغسل به في الحمام يمنع النزلات بالتجربة والورد إذا جُفف وسحق مع الآس وطلى به في الحمام قطع العرق والاسترخاء والترهل. وإن طبخ بالشراب كان أقوى فعلاً ، والريحان والكافوري الذي يقال له الآن الهندي إذا غسل البدن بسحيقه في الحمام أزال عنه الأوساخ ونعَّم البشرة .

ولذا إني قلت في مليح معَذَّر دخل الحمام :

لست أنسا معذَّر في دباس   جاء يبغي في صدره تحميا
سال ريحان عارضيه به فاز   داد إذ سال خده تنعما

فاذا طلا الانسان جسده بالمغرة - بالغين المعجمة والراء وهو طين مشهور - مع الشيرج في الحمام لقطت عنه الحرارة ونعمت بشرته وصقلتها عن تجربة . وإذا خضب الانسان جسده في الحمام بالحنّا المعجون (٥٦) فيه الزيبق - بالزاي المعجمة والياء المثنية التحتية بعدها باء موحدة وقاف - والزيت قتل منه القمل وأفناها .

وإذا طلا الانسان جسمه بدم مالك حزين - وهو طير من طيور الماء سمي بذلك لما روي عنه من أنه شديد الحرص على الماء لا يشرب منه حتى يجهده العطش خوفاً من نفاذ الماء وذهابه - منع عن ذلك الانسان النوازل

والتدليك بدقيق لبّ البطيخ وورق المرسين في الحمام يقلع الجرب من البدن

---

(٥٥) ساقط من (ح) .
(٥٦) (هـ) و(ت) المجعول

[وقال ابن زهر من سحق الفجل مع كندس متساويين وطلا به البهق الاسود في الحمام بالماء الحار والخل أذهبه انتهى كلام إبن زهر][٥٧]

وإذا غسل الانسان شعره في الحمام بمزمار الراعي ـ وهو شجر معروف طَوَّله وطيب رائحة الراس. ولذا إني نظمت مضمنا في مليح دهن به ذؤابة له كانت في راسه وجعل يغمض عينيه ويسد مسامعه لئلا يدخلها فقلت :

قد طيب الراس في الحمام ذو ملق — أذكى من الشجر المسحوق ضائعه
وأغمض الطرف منه مع تَنَزّله — وسد عن (مزمر الراعي) مسامعه

وإذا مزج الانسان الحنّا بالمرزنجوش ـ ويقال له مرفوش ومردكوش في اللغة الفارسية ومعناه أذن الفار [ويقال له الآن في اللغة العرفية بردقوش بالباء الموحدة المفتوحة][٥٨] وهو من الرياحين التي تزرع في البيوت وغيرها ـ وطلا بِهِ راسه في الحمام أذهب سائر أوجاعه بالتجربة .

وإذا سحق الانسان رماد الدفر ـ بالدال المهملة المشددة المكسورة والفاء الساكنة والراء ـ وهو شجر معروف يسمى الخيار والعنبا والضرًا وخلط رماده بالحنا وخضب به الراس في الحمام منع عنه الرمد والنزلات عن تجربة .

وبعض الرُّوم يدهنون الرؤس بدهن الأجر والزيت المطبوخ في ماء النورة فلا يصبرون بعد ذلك عن صب الماء البارد على الراس . ويزعمون ان ذلك نافع من النزلات والرمد .

واذا خضب الانسان الشيب بالحنا في الحمام وقد مزجه بالرامك ـ وهو المعروف عند الصيادلة[٥٩] بسك المسك وقد يقال له السّك بلا إضافة ـ سود الشيب وقتل عنه وعن سائر الجسد القمل .

وبعض الحكماء لا يشترط دخول الحمام بل يقول ان الخضب بما ذكر ولو في غير الحمام يحصل منه ما ذكرناه .

---

(٥٧) ساقط من (هـ) و(ت)

(٥٨) زيادة في (ح)

(٥٩) في (ح) صنادلة وفي (هـ) و(ت) الصنادلة بالنون

وإذا دلكت المرأة ظهرها في الحمام بلحم القنفذ وهو طائر معروف منع السقط .

وإذا غسلت المرأة الحامل وقد أحست بالطلق بطنها وظهرها في الحمام بطبيخ الحلبة والاشنان والصابون كان ذلك من مسهلات الولادة .

وإذا دلك الانسان قبل بلوغه انثييه بالليمون في الحمام منع منه الشيب واذ لازم الانسان كلما دخل الحمام لطخ رجليه بماء العليق ـ بالعين المهملة وهو شجر كالورد ـ وقف عنه الشيب وإن عاش مئة عام .

وإذا أدام الانسان في الحمام أو بعد الخروج منه سف الفصفصة ـ بالفائين والصادين المهملتين ـ وهي حب معروف مذكور في الكتب الطبية وأدام سف السكر معها خصب بدنه وسمن سواء كان مبرودا او محرورًا .

و إن كانت امرأة غزر لبنها وأدر طمثها .

وإذا شرب الانسان في الحمام أو عند الخروج منه حجر البقر وهي حجر معروفة عند الاطباء مع الجلاب أو مع اللوز والنارجيل أو مع الحبة الخضراء او الصنوبر(٦٠) وأتبع ذلك بالمرق والدهن كالدجاج سمن بدنه جدًا وتولد به الشّحم ونعم نعومة زائدة عن تجربة إلاّ أنه يضر المحرور ويصدع وتصلحه الكثيرا .

وإذا شرب الانسان في الحمام ثلاثين درهما من الزيت وهو الدهن المعتصر من الزيتون مع مثله من العسل ومثل ثلثه من الكندر وثلثه من دهن الشونيز ولم يتناول الماء البارد بقية يومه بري من كل مرض بارد كوجع المفاصل والخدر والفالج وهو من مهيجات الشهوة فيمن جاوز عمره المئة السنة .

قال بعض أئمة الاطباء مجرّب .

وإذا شرب الانسان في الحمام ماء المرّ وتضمد برماده زال عنه الجرب

وإذا وقع في الانسان كسر لأحد اعضائه واريد تجبير ذلك العضو وردّه الى حاله الاول وكان التجبير بعد أيام ، قد مضت من يوم كسر العضو أو كان الزمن

---

(٦٠) نبات يكون على شكل الحبوب (المعتمد ص ٢٩٢)

قيل ومن الخواص أن المرأة المتعطلة عن الزّواج إذا صبت على راسها الماء في الحمام وبه خف السلحفاة الأعلا انحل ذلك عنها سريعاً .

واعلم ان حك الرجلين في الحمام من الأمور المهمة لاسيّما لاصحاب الصداع والبخار .

نعم كنت أنا قد نظمت قصيدة في الوصية بملازمة دخول الحمام والوصية أيضا بأن يلتزم فيه الداخل ما سلف ذكره في هذا الكتاب من الواجبات عليه والسنن الذي يليق به التزامها وبعض الأمور الطبية فقلت :

صاح إن كنت تطلب الانعاما ... فاكهاً فيه فالزم الحمّاما
نعمة تنقضي سريعاً كالقـ ... ـوم نالواذاك النَّعيم مناما
فنعيم الحمام أضحى يسيراً ... وعذاب الجحيم كان غراما
سر فيها المقام والنار ساءت ... مستقر لهم وساءت مقاما
قم[٦٣] وبادر إلى دخول مباح ... لست عند البدار تلقى أثاما
إن صحب الرسول قد دخلوه ... فاقْفُ فيما ذكرت قوماً كراما
وتستر وغض طرفك عن عو ... رات قوم لا يختشون ملاما
وانههم ما استطعت فالنهي فرض ... لازم طاب للعفيف التزاما
وليكن قصدك الطهارة للفرض ... وقد قمت[٦٤] للصلاة قياما
وتجنب بين العشائين أو وقـ ... ـت غروب يدنى إليك ظلاما
لا تسلم على النزيل وعاقب ... فيه بالصّمت من اردّ سلاما
واستعذ بالإله جل من الشـ ... ـيطان واحفظ مهمى[٦٥] استطعت كلاما
واترك الدرس فيه للذكر فالقرا ... ن يعلو قدراً ويعلو مقاما
وتَذّكر بحرةً حرّ نار ... قد غدا لفحها عذاباً دواما
واقتصد عند صبك الماء سخنا ... وتجنّب في الصدر منه زحاماً
واجتنبه في الامتلاء وعند الجوع ... يوماً إذا فقدت طعاما

---

(٦٣) (هـ) و(ت) فتبادر

(٦٤) (ح) قمصت

(٦٥) (ح) فهمي

(٦٦) ساقط من (خ)

بارداً وجب على من يعالجه بالجبر إدخاله الحمام(٦١) لتحلل حرارته ما عساه أن يكون بطول المدة او بالبرد قد جمد من دم يمنع التحام الكسر والتقاء الجزئين وإذا اصابت الانسان حمى الروح وكانت عن سدد واستخصاف لا عن غضب عالجها بدخول الحمام .

قال بعض الأطباء ينتقع من أصابته هذه الحمى بماء الحمام لا بهوائه

قال بعض الحذاق وهذا محمول على أن لا يقدر المحموم على اللبث فيه وإلا فالهوا أصلح كما يشعر به كلام الفاضل(٦٢) في «الشرح»

وإذا أصابت الانسان الحكَّة وهي تغير سطح الجلد في اللَّمس مع لدغ مستلذ إذا حك ومن أسبابها بعد العهد بالاستحمام فينبغي له أن يدلك جسده في الحمام عند الغسل بالماء الحار فانه يحل ذلك عن الجسد سيما إذا كانت هذه الحكة عن السودا فإنه ينبغي لصاحبها كثرة الاستحمام والدلك في الحمام بالنوشادر وماء الليمون أو لبّ البطيخ والبورق آو رجيع الحمام مع الحنا .

وإذا فسدت حافظة الانسان ولم يجد حكيما يعالجه وأراد أن يختبر هل وقع فسادها من البرد واليبوسة أم من الحرارة واليبوسة فليدخل الحمام ويمتحن فيه نفسه فان زاد فيه حفظه فالفساد وقع من قبل البرد واليبوسة وإن نقص أو استمر على ما كان عليه فالفساد من قبل الحرارة واليبوسة .

وإذا أصابت الانسان الدمعة في عينه وكانت عند خروجه من الحمام تنحدر عليه وتكثر في العين القذا أو الغروية والخفّة فهي عن برد الدماغ .

وإن كانت بالعكس فهي عن حرارة

وقيل ومن الخواص الريش الطويل من ذنب الديك إذا نتف عند سفده الدجاجة وجعل ذلك الريش في مجاري ماء الحمام واغتسل الانسان من ذلك الماء فانه ينعظ إنعاظا شديدا .

---

(٦١) هـ و ت لتحل

(٦٢) يعني به الشيخ الفاضل على بن عبد الله زين العرب المتوفي بعد سنة ٧٥١ له شرح كليات القانون لابن سيناء «كشف الظنون ج ١ ص ٣١٢»

لا تجامع فيه ولا تتقيًّا فالتقيء قد يصحب الأسقاما
لا تفرط في اللبث فيه ولا تفـ ـرط وحاذر ما يجلب الآلاما
بل يكن لبثك المقدر فيه بين هذا وبين ذاك قواما
واسترح ساعة بمسلخه المؤنق إن ما وافيت منه تماما
واجعل الطيب والنزول بروض وارف للنعيم منه ختاما

(تنبيه)[٦٧]

[تسريح اللحية والذوائب في الحمام بالمشط من مهمات التحميم والمشط هو بضم الميم وسكون الشين المعجمة بعد طاء تحتية ـ وهو واحد الامشاط التي يمشط بها يقال امتشطت المرأة ومشطتها الماشطة تمشطها بكسر الشين مشطا وله مشيطة بفتح الميم أي ممشوطة والمشطة بكسر الميم نوع من المشط كالركبة بكسر الراء والجلسة بكسر الجيم والمشاطة بضم الميم ما سقط من الشعر وغيره من تحلل المشط ولا شك أن استعماله[٦٨] في الحمام من المهمات فهو من لوازمه ولذا قال بختيشوع انه ينبغي لداخل الحمام أن يستعمل المشط فيه فانّه يقوي البصر ويحدث أريحيه وزهواً .

أقول : ولذا ينبغي لمن مشط لحيته في الحمام أو في غيره أن يقرأ في أثنا المشط قوله تعالى «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك»

ثم يقول بعده الحمد لله الذي زين الرجال باللحى والنساء بالذّوائب .
ولا شك أن قوله عز وعلا «ألم نشرح لك صدرك» يدخل تحته ما قاله بختيشوع انه يحدث للمستحم إذا استعمل المشط في الحمام أريحية وزهواً والله أعلم

قال شرف الدين الحلاوي[٦٩] وقد طلب منه ثلاثة ابيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب العزيز بن محمد بن غازي فقال على لسان المشط :

ظللت من الملك العزيز براحة غدًا لَثْمها عندى أجل الفرايض
وأصبحت مفتر الثنايا لأنني حللت بكف بحرها غير غائض

(٦٧) هذا التنبيه بتمامه ساقط من (هـ) و(ت) وهو من زيادات (خ) الطويلة
(٦٨) في الاصل استعمال
(٦٩) في الغيث المسجم أبو الطيب أحمد الحلاوي «الغيث ج ٢ ص ٤٣٥»

وقبلت سامي خده بعد كفه فلم أخل في الحالين من لثم عارض

وقال الشيخ بهاء الدين الموصلي والد الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى ملغزاً في المشط من أبيات :

ظننتم تصحيف مقلوبه يخفى وليس الظن بالكاذب

أقول هذا من الالغاز الغامضة فقدر لا يصل[٧٠] إلى حله ذهن اللَّبيب لبعد غوره وتركيبه على نمط غير نمط الالغاز الظاهرة ومعناه ان تصحف مقلوب مشط لفظ ظننتم فانه صحف الطَّاء المنقوطة من تحت إلى الظاء المشالة وصحف الشين المعجمة بأن جعل مع القلب الثنية الأولى والثانية ونوناً وجعل الثالثة ياء مثنية منقوطة من فوق وهذا نمط في الألغاز خفي غير ظاهر مغزاه والله أعلم

وقال ابن المرجاني[٧٢] ملغزاً في المشط أيضا[٧٣]

يا إماما سألته حل لغز شط منه مزار أهل الذكاء

أهمل الثالث باعتناء وقلب تَرَهُ جاء قائد الشعراء

قال القاضي بدر الدين الدماميني المخزومي رحمه الله تعالى : إن هذه الألغاز من الألغاز الصعبة فينبغي أن تعمل الفكرة فى حلِّه .

قال الغزولي مؤلف «مطلع البدور»[٧٤] رحمه الله تعالى في كتابه المذكور . شغلت الفكرة في حله فاذا هو مشط فتأمله فقد أجاد قائله انتهى كلامه .

قلت ليس هذا من الألغاز الصّعبة على ذي فهم قد نوّر الله قلبه . فإن معنى قوله شط منه أي شط من حروف الملغز فيه ومعنى قوله أهمل الثالث فيه بعد قلبه أي صير أحد حروفه مهملاً بعد أن كان معجماً ـ وهي الشين فيصير مع قلب الاسم وإهمال احد حروفه طسم ومعنى قوله تَرَه جاء قائد الشعراء أي أول سورة «الشعراء» من الكتاب العزيز وهو طسم كما ترى .

---

(٧٠) في الاصل يصال

(٧١) في الخط عند اليمنيين ينقط الطاء المهملة بنقطة من تحت وكذا الدال المهملة

(٧٢) لعله محمد بن ابي بكر المرجاني اديب ونحوي من اهل مكة توفي سنة ٨٢٧ «الأعلام ج ٦ ص ٥٧»

(٧٣) البيتان في خزانة الأدب للحموي ص ٤٠٣

نَعم وقد ذَيّلت هذه الألغاز بما نظمته فقلت :

وتـــراه قد جاء إسما لقوم من قبيل ذي نجـدة وإباء
طم كالماء في الهجـا طرفاه فتحقـق منـه حروف الهجاء
وإذا فـاؤه ان أزيلـت فسم أي سم في اللفـظ لا المَعْناء
وإذا أول أخـيرا به عاد فسمـط في الجيد من حسناء

المراد في الأربعة الأبيات هذه واضح أمَّا البيت الأول المقصود به قبيلة طسم بسكون السين المهملتين وهي مشهـورة أخـت جديس بالجيم والـدال والسين المهملتين وهي قبيلة مشهورة أيضا . وأما البيت الثاني فطرفا طسم وهو الطاء والميم طم وإذا حذفت منه فالكلمة وهي الطاء بقي سمٌ وإذا أخّرت الطاء من أوله فهو سمط وجميع ذلك ظاهر .

قلت في الجناس.

ولـم أدر في الحمام إذ سال عارضي أذلك لجّ خضت بالرشح أم شاطي
وقـد سرحـت والحمـد لله لحيتي بألـين تسريح حبتنيه أمشاطي

وقلت في غانية تمشرط[٧٥] شعرها في الحمام بمشط من العاج :

غانية في دباسهـا مشطت من شعرهـا ما يجـرّ كالذيل
فهمـت وجـداً بهـا وقـد نظرت عينـي ماعـز دونـه نَيلي
مشطـا من العـاج في ذوائبها قد غاب حتـى طفحـت من ويلي
وقلـت سبحـان من بحكمته أولـج منـه النهـار في الليل

وقلت فيها ايضا :

لما تراءى لأعينـي مشـط في شعرهـا مرسلاً بقامتها
رأيت كافـورة مقشرة تدفـن في المسـك ذوائبها[٧٦]

فإن قلت : هل يجوز لداخل الحمام أن يخضب يديه ورجليه بالحنا أم لا يجوز . قلت : قد ذكر أصحابناتفصيلاً في الخضب بالحنًا مطلقا سواء أكان في

(٧٤) قلت هذا الكتاب من الكتب النفيسة النادرة طبع في مصر سنة ١٩٠٠ وقد وقفت عليه وطالعته بمكتبة الظاهرية بدمشق

(٧٥) كذا في الاصل

(٧٦) هنا تتم زيادة «ح»

الحمام أو في غيره فقالوا أن خضب الذكر المكلف ليديه ورجليه بالحنا إن كان لحاجة إليه من منفعة أو دفع مضره ولو كان في المال جائز بلاخلاف في جوازه [ولذا قال الامام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء :[77] من جهة الطب ان الحنا بعد النورة أمان من الجذام وقالوا][78] وان فعله لمجرد الزينة فمذهبنا أنه لا يجوز لأنه حرام إذ هو مختص بالنساء وهو الذي حكاه الامام النووي رضي الله عنه في الروضة في باب العقيقة وقال انه حرام في حق الرجال الا لعذر انتهى والمفهوم من كلام الفقيه الحسن النحوي رحمه الله تعالى في تذكرته أنه لا يمنع منه الذكر الصغير وقد قوَّاه بعضهم لكون العرف جاريا به[80] [والذي قاله الامام المهدي عليه السلام ان ظاهر كلام اهل المذهب انه يمنع كالحلي] وقال الامام محمد بن ادريس الشافع رضي الله عنه والامير الحسين[81] والامام شرف الدين[82] عادت بركاتهم انه جائز للذكر الحنا لغير حاجة بل لمجرد الزينة قالوا لانه لادليل على تحريمه .

وما ورد من الادلة فالكلل محتمل وهوجزم به العجلي[83] وصاحب «البيان» من الشافعيةوالماوردي[84] والرافعي[85] وغيرهم. والخنثى كالرجل ذكره في العباب [86] من كتب الشافعية وهذا الكلام جميعه في اليدين والرجلين فأما سائر البدن فيجوز وكذا خضب الشيب به يجوز أيضا إلا أن تركه افضل لقوله ﷺ وكرّم «الشيب نور فمن أراد أن يطفيه فليطفئه» .

---

(٧٧) ساقط من هـ و ت

(٧٨) الاحياء ج ١ ص ١٣٩

(٧٩) الروضة

(٨٠) ساقط من «ح»

(٨١) هو الحسين بن بدر الدين من العلماء الاجلاء وفاته سنة ٦٦٢ (انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي) .

(٨٢) هو الامام يحيى شرف الدين حكمه سنة ٩١٢ ووفاته سنة ٩٦٥ «انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي»

(٨٣) جماعة من الفقهاء (انظرهم في الاعلام للزركلي . ٨٤ فقيه مشهور وفاته ٤٥٠

هو عبد الكريم بن محمد توفي سنة ٦٢٣

يعني به العلامة اليمني أحمد بن عمر المزجد وفاته سنة ٩٣٠ «انظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الاسلامي» .

(تنبيه)

اختلف الاطباء في المدة التي يصلح بعدها للانسان دخول الحمام ويليق به فقيل ينبغي له الحمام كل يوم مرَّة وقيل كل يومين مرة وقيل كل ثلاثة أيام مرة وقيل كل اسبوع مرة وقيل كل شهر مرتين . ولكن فالذي ينبغي ان تكون مدة الحمام على مقتضى الامزجة فإن كان ذو المزاج بلغميا فالحمام غير ضار له مطلقا وان كان سوداويا فينبغي له الحمام كل ثلاثة أيام مرة وإن كان دمويًا فينبغي له الحمام كل اسبوع مرة وإن كان صفراويا فينبغي له الحمام كل شهر مرتين .

وأما الدخول لمجرد الغسل فلا حكم له في ذلك .

وما سبق من أن الحمام لا يجوز إلا والقمر في غير البروج المائية غالب ما ذكر لأن القمر لا يدخل البروج المذكورة كل شهر في هذه المقادير .

نعم وهذا الكلام جميعه في الرجال فأمَّا النساء فقال الامام أبو بكر بن السمعاني أن الحمام مكروه للنساءلمابني امرهن عليه من المبالغةفي الستر ولمافي وضع ثيابهن في غير بيوت الأزواج من الهتك ولما في خروجهن وإجتماعهن من / الفتنة والشر .

وقال الامام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء (٨٧) قال ﷺ لا يحل للرجل (٨٨) أن يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم (٨٩) والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء ومريضة .

ودخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من السقم الذي بها فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معيناً لها على المكروه انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى .

---

(٨٧) الاحياء ج١ ص١٣٩

(٨٨) هـ «الرجل»

(٨٩) انظر تخريج هذا الحديث في المغني عن حمل الأسفار بأسفل كتاب الاحياء ج١ ص١٣٩

وروى النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل [٩٠] حليلته الحمام [٩١] .

وروى الحاكم الحمام حرام على نساء أمتي . وقال صحيح الإسناد .

ولأبي داود وابن ماجة فلا يدخلنّها الرجال إلا بالأزر وامنعوها النساء إلاّ مريضة أو نفساء .

وقال الامام يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب «التصفية» عند ذكر الخمس الصور من منكرات الحمام ما لفظه :

الخامسة دخول النساء الحمامات مكروه إلاّ لحائض أو نفساء أو مريضة . وهل يجب إنكاره عليهن أم لا فيه تردد والأقرب أنه لا ينكر عليهن في الحمامات إلا ما ينكر على الرجال فيها وأمّا مجرد منعهن من الحمامات فلا وجه للمنع إلا أن يتعلق به منكر وجب إزالة ذلك المنكر انتهى كلام الامام يحيى عليه السلام .

أقول : وما أحسن هنا مما يجري مجرى هذا الكلام قول إمام البيان ضياء الدين أبي الفتح نصرالله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم [٩٢] الشيباني المعروف بابن الأثير رحمه الله تعالى في بعض انشاءاته التي أنشأها في تقليد/ بمنصب الحسبة كما ذكر ذلك في كتابه المسمى بالمثل السائر [٩٣] ومن جملة منشوره ما جاء في ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يحصل في الحمامات وهو ما لفظه .

ومما هو أشد نكيراً أمر الحمامات فإن الناس قد أصرُّوا بها على الإجهار وترك الإستتار والتهاون بأمر العورات التي لصاحبها اللعنة وسُوْء الدار والنساء في هذا المقام أشد تهالكاً من الرجال وقد ابتذلن أنفسهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال انتهى كلام ابن الأثير رحمه الله تعالى .

فإن قلت فإذا جاز للمرأة دخول الحمام لمجرد التداوي فهل يجب على زوجها تسليم الأجرة أم لا ؟ قلت ظاهر كلام أصحابنا أنه يجب على الزوج لها

---

(٩٠) (هـ) و (ت) يدخلنها .

(٩١) رواه جابر مرفوعاً وانظر تخريجه في الفتح الكبير ج٣ ص٢٣٢»

(٩٢) هو الأديب المنشي وفاته سنة ٦٣٧ «الاعلام ج٨ ص٣١»

(٩٣) المثل السائر ج٢ ص٣٩٤ ط الحوفي وطبانة

تسليم أجرة الحمام إذا كان دخولها لمجرد التداوي من بعض العلل لا لو كان لغير التداوي فلا يجب والمأخوذ من ظاهر عبارة [٩٤] الامام يحيى بن حمزة عليه السلام في «الإنتصار» أنه لا تجب عليه لها أجرة الحمام مطلقاً فإنه صرح بأنه لا يجب عليه لها ثمن الأدوية وأجرة الطبيب والحمام مقيسٌ على ذلك وظاهر مذهب أصحابنا الوجوب لتسليم أجرة الحجام ومثله الحمَّام .

(تذييـــل)

اعلم أن بعض الظرفاء ممن دخل الحمام أحسن عذره في دخوله وأبدى لذلك وجهاً لطيفا وعذرا شريفا ظريفا وبعضهم وصف وجه دخوله إليه وحكى ما اتفق له فيه .

أمّا من أحسن عذره في دخول الحمام وأبدى له وجهاً فكثيرٌ .

قال صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى :

ولم أدخل الحمام من أُجل حرَّه ... وكيف ونار الشّوق بين جوانحي
ولكنها لم تكفني فيض عبرتي ... دخلت لأبكي من جميع جوارحي [٩٥]
[وليس خضابا ما بكفي وإنما ... مسحت به أثر الدموع السوافح]

[حكى والدنا القاضي العلامة اللبيب الظريف شهاب الدين أحمد بن ناصر بن محمد بن عبدالحق المخلافي الحيمي [٩٦] كان من أعيان الزمن ومحاسن اليمن رضي الله عنه وبيني وبينه من المكاتبات والمراسلات والمحاورات ما بين الوالد وولده البر قال ما لفظه :

خرجت يوماً من الحمام فاتفق بي بعض الاخوان الذين هم زينة الأيام فسألني من أين أقبلت فقلت من الحمام وأنشدته البيتين المشهورين الذين أبدع قايلهما في الاختراع وأتى بما يطرب القلوب ويلذ الأسماع وهما هذان البيتان لابن

---

(٩٤) ح «عبا»
(٩٥) ساقط من (ح) ولعل هذا البيت ليس من شعر ابن الوكيل كما سيتضح فيما بعد
(٩٦) هو الأديب الشاعر ولد بالحيمة سنة ١٠٥٥ تولى قضاء صنعاء وتوفي سجيناً بعدن سنة ١١١٤ «نشر العرف ج١ ص١٩٦»

الوكيل رحمه الله تعالى وكنت قد تناولت شيئا من الحنَّاء أثره على يدي فقال لي ما هذا يشير إلى الحنَّاء فقلت مرتجلا :

وليس خضاباً ما بكفي وإنما مسحت به أثر الدموع السوافح[97]

ثم وصلت منزلي فصدرت البيتين الأولين وعجزتهما ونقلت ذلك الى الوعظ فقلت :

[ولم أدخل الحمام من أجل حرة وكيف التذاذي بالنيّار اللّوافح
ولا جئته أبغي اصطلاء بناره [وكيف ونار الشوق بين جوانحي]
[ولكنه لم يكفني فيض عبرتي] على ماضيات من ذنوبي فواضح
ولما رأيت العين لم يكف وبلها [دخلت لابكي من جميع جوارحي]
فليس خضابا ما بكفي وإنما مسحت به أثر الدموع السوافح

انتهى ذلك منقولاً من خط والدنا الشهاب رحمه الله تعالى

وقد أخذ معنى بيتي صدرالدين بن الوكيل الشيخ الفاضل سعيد بن محمد المنوفي المصري/ المكي [98] رحمه الله تعالى من أهل العصر استوطن اليمن مدة وعرفناه وجالسناه وساجلناه بمحروس [99] (مواهب) الكريم أوّلا ثم بمدينة صنعاء اليمن المحمية ثانياً فقال :

قيل لي هل دخلت حمام صنعاء لعذر فقلت والعذر واضح
ما دخلت الحمام إلاّ لأبكي يا أخا الود من جميع الجوارح[100]

وقال الشيخ شمس الدين بن سمنديار الذهبي [101] مضمنا

لم أبغ بالحمام طيب تنعم أفنى البكاء من دمع عيني أجمعا
لكن بكيت أسًى بجسمي كله حتى كأن لكل عرق مدمعا

---

(٩٧) انظره مع أصله في نشر العرف ج١ ص٢٩٨

(٩٨) ترجمته في نشر العرف ج١ ص٧٢٣ ووفاته نحو سنة ١١٣٠

(٩٩) قرية بالقرب من ذمار

(١٠٠) مساقط من هـ و (ت)

(١٠١) في هـ و (ت) «وقال آخر»

وقال ابن رشيق رحمه الله تعالى :

ولــم أدخــل الحمام ساعــة بينهم ... طلاب نعيم قد رضيت ببؤس
ولــكن لتجــري عبرتــي مطمئنة ... فأبــكي ولا يدري بذاك جليسي

وقلت أنا :

خشيت من اللــوام لما تسابقت ... دموعي وشبـت لوعتـي عن شرارها
فجئــت إلى الحمام لا عن تشوق ... فبي ما كفـى بالوجـد عن حر نارها
وغالطـت لوامـي بهــا حـين كثّروا ... ملامــة صبٍّ لم يزل في إسارها
وأجريت دمع بـين رشـح جوارحي ... وصعـدت حر الوجـد بـين بخارها

وأما من وصف دخوله إليه وحكى ما اتفق له فيه .

فقال خليلنا الشيخ الأديب صارم الدين ابراهيم بن صالح الهندي رحمه الله تعالى وقد دخل الحمام معه رجـلان أحـدهما يلقـب بالـكبسي والآخـر يسمـى مطهراً (١٠٢) :

في صدر ذا الحمام مغـرم حبكم ... قد صده الـكبسي أن يتكبسا
ومطهــر بــين الصبابــة والصبا ... أضحـى ببول ذوي الغرام منجّسا

وقلت أنا :

لقــد قام في الحمام يومــاً بخدمتي ... فتـىً عنـده بالفضـل يرتفـع القدر
وقلبنــي في الصــدر ظهــراً وباطنا ... بلا بدعـة والقلـب موضعـه الصدر

وقلت :

وحمــام سوء قد دخلــت فضُيِّعت ... لديّ به عنـد الأنـام الفضائل
ولاقيت ما أبــكى جميع جوارحي ... بتعريقهــا فالدمـع كالغيث هاطل
وشاركنـي في الصــدر غـير مجانسٍ ... وزاحمني في الحـوض من لا يشاكل

[وقلت مضمنا :

فررت من حر صدر في الدباس إلى ... خزائـن منـه ضاقــت ضيْق أنفاسي
بليت فيهــا من النــاس اللئــام وقد ... تواردوهــا بأنــواع وأجناس

---

(١٠٢) سبق ورودهما في موضع سابق من هذا الكتاب فيحقق

وما على الحر إن كان القـرين له رب النقيصـة في الحمام من باس
ناديتهـم واصطبـاري في رحابهم نعم القرين ونعم الصّاحب الآسي
لولا الضرورات ما فارقتـكم ابدا ولاتنقلـت من ناس إلى ناس][١٠٣]

(تتمة) لا شك ان داخِل الحمام قد يكون جميلا يجرّد من طرفه صارما صقيلا فهو من الحسان الذين شدوا مازرهم من الأرداف على الكثبان [وقد يكون من الجواري التي تضاحك منظومات عقودها الدراري] [١٠٤] ولـذا ان بعض الأدباء ذكر ذلك في شعره . ونعرض في نظمه لأمره .

قال محاسن الشواء [١٠٥] رحمه الله تعالى في زمرة من الحسان دخلوا الحمام :
شدوا المآزر فوق كثبـان النقا بأنامـل حلُـوا بهـا عقـد التقى
وتجـردوا فرأيت بأن معاطف نشروا ذؤابتهـم عليه فـأورقا
وبـدوا فأطلـع كل وجـه منهم بدراً [١٠٦] فأضحـى كل بدر مشرقا
وتضـوَّع الحمام مسـكاً عندما نثروا من الأصـداغ نظماً معبقا
من كل أهيف حل عقـدة بنده أضحـى بلحـظ عيوننـا متمنطقا

وقال العلامة الشيخ الإمام شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس مضمناً [١٠٧] .
قل لي عن الحمام كيف دخلته [١٠٨] يا صاحبـي[١٠٩] لتسر خلاً مشفقا
أدخلتـه وأولئـك الأقـوام قد «شـدوا المآزر فوق كثبـان النقا»

---

(١٠٣) زيادة (ح)
(١٠٤) ساقط من «هـ و «ت»
(١٠٥) وهو ابو المحاسن يوسف بن اسماعيل الشواء شاعر له ديوان شعر توفي سنة ٦٣٥ «الأعلام ج٨ ص٢١٧» .
(١٠٦) (ح) بدار .
(١٠٧) البيتان في الغيث المسجم ج١ ص١٢٣ .
(١٠٨) الغيث دخلتها .
(١٠٩) الغيث يا مالكي

وقال ابن عربي في مليح دخل الحمام

عاينـت في الحمام بدراً مشرقاً يرنـو بمقلـة شادن مذعور
يرخـي ذؤابتـه على أعطافه [فـيريك](110) ظلاً لاح فوق غدير

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف رحمه الله تعالى :

أرخـى ثلاثـاً يوم حمامة ذوائبـا تعنـو لهـن الليال
فقلـت والقصـد ذواباته يا سهـري في ذي الليالي الطوال

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى مضمناً (111) :

تأملـت في الحمام تحـت مآزر روادِفَ بيضـاً ما سناهـا بغائب
كأنـي من هذا وهـاتيك ناظر بياض العطـايا في سواد المطالب

[وقال هو أيضا في مليح خرج من الحمام متلثما :(112)

ولـم انسه كالغصـن يمطره الحيا على أثـر حمـام وتعطفـه الصبا
تلثـم بالمنـديل أبيض ساذِجا فصار بضوء الخد أحمر مذهبا](113)

وقال أبو جعفر الطليطلي رحمه الله تعالى :

هل استمالك ميال القـوام وقد سالـت عليه من الحمام أنداء
كالغصـن باشر حر النـار من كثب فظـل يقطـر من أعطافـه الماء

وقال الحسين بن الضحاك رحمه الله تعالى :

جرده الحمام كالفضّه أبـان عنـه عِكَنـاً بضَّهْ
كأنمـا الرشـح بأطرافه طل على سوسنـة غَضَّهْ
فليت لي من فمـه قبلة وليت لي من خده عضَّه

---

(١١٠) ساقط من (ح)

(١١١) ديوان ابن نباتة ص ٦٢ .

(١١٢) لم أجده هما في ديوانه المطبوع .

(١١٣) ساقط من «هـ» و «ت» .

وقال القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي رحمه الله تعالى :

خشيت على حبيب القلب لما | أتى حمامه ونضا الثيابا
نهار وجهه والجسم زبد | اذا طلع النهار عليه ذَابا

[وقال بدر الدين بن رضي الدين الغزي الشامي العامري رحمه الله تعالى في مليح دخل الحمام ولم يدخل صحبته :

يا مدعي في حبنا سنن الورى | فضحتك عندي صحبة الأيام
والله ما أنصفت في شرع الهوى | أنا في الحِمام وأنت في الحمَّام

قلت ما أراه أحسن الرفو لما قبل المصراع فكان الأليق به غير ذلك بأن يقول كما قلت :

يا داخل الدِّيماس جسمك لا يذوب | من ناره والله نعم الحامي
قد مُتّ إشفاقا عليك لحرّه | أنا في الحمام وأنت في الحمَّام](١١٤)

وقال جمال الدين يوسف الصوفي رحمه الله تعالى في مليح تركي دخل الحمام ورشَّ من به بماء الورد وجعل يبخّه عليهم :

ولم أنسه لما تعرى ثيابه | وجاز إلى حَمَّامه يتخطر
ولما أفاض الماء فوق قوامه | وفي وجهه نور من الحسن يظهر
رأيت هلالا تحته غصن فضة | يلوح عليه لؤلؤ يتحدّر
أتانا بما ورد ذكي فبخَّهُ | بثغر له كالمسك بل هو أعطر
فقلت أظبي الترك قد فاح مسكه | أم الورد من خديه يحمى فيقطر

وقال الأمير مجير الدين محمد بن تميم الدمشقي رحمه الله مضمناً في مليح خضب جسمه بالحنّا في الحمام(١١٥)

لو كنت في الحمام والحنا على | أطرافه(١١٦) وجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة | «سال النضار بها وقام الماء»

---

(١١٤) ساقط المخطوطتين (هـ) و (ت) . * الابيات في مطالع لبدر.

(١١٥) البيتان في الغيث المسجم ج ١ ص ١٢١ .

(١١٦) الغيث أعطافه .

وقال الأمير الحسن بن عبد الله[١١٧] الزوم من اليمن الأسفل أديب من أهل عصرنا هذا رحمه الله تعالى وذلك في المليح الذي خضب جسمه بالحنا في الحمام مضمنا أيضا :

وافى من الحمام خليٌّ بعد أن ... أبد الأصيل بجسمه الحناء
فرأت عيوني من لجين قامة ... سال النضار بها وقام الماء»

وقلت أنا مضمّنا أيضا للبيتين الأخيرين برمّتها للإمام جمال الدين محمد بن نباتة المصري رحمه الله تعالى في مليحة مخضوبة :

ولم أنس في الحمام غانية لها ... وجه يخف بصفحتيه ضياء
ولها ضفائر أرسلت محلولة ... من فوقها فاستخفت الظلماء
والله ما هي غير شمس في الضحى ... ضربت عليها خيمة سوداء
خضبت بأحمر كالنضار معاصماً ... كالماء فيها رونق وصفاء[١١٨]
واهاً لهن معاصماً مخضوبة ... «سال النضار بها وقام الماء»

وقلت في مليحة في الحمام أيضا مصدرا ومعجزاً لبيتي السراج الوراق رحمه الله تعالى وفيه التورية :

وبيضاء قد عانقتها وضممتها ... بصدر من الحمام ينفث عن نار
وأعلنت ضمّي حين أسررت عشقتي ... ولا قبح في جهري بهذا وإسراري
على أنه لا عار فيها محقق ... لصب بها قد صب مدمعه الجاري
تعرَّيت عن لبسي ولاصقت جسمها ... وما سلمت والله قط من العاري

وقلت فيها مضمنا للبيت الآخر برمته وهو لأبي العلا المعري رحمه الله تعالى[١١٩] :

أعاين في الحمام غانية لها ... من الرشح درّ وهو في أذنها قرط

---

(١١٧) هو امير وشاعر مسكنه بلاد حبيش من اليمن الأسفل توسع المؤلف في ترجمته في كتابه طيب السمر وهو من ادباء القرن الثاني عشر .

(١١٨) لم أجدهما في ديوان ابن نباتة المطبوع .

(١١٩) ديوانه ١٧٨ .

وقد أرسلت ليل الذوائب واجفا | على أنه الجعد المصفف والسبط
اذا مشطتها قينة بعد قينة | تضوع مسكا من ذوائبها المشط

وقلت فيها مضنا وفيه التورية :

محلاة عنق حَلّت العقد عندما | توارت بحمام منعمة البال
سما عرق في جيدها مثل لؤلؤ | «سمو حباب الماء حالاً على حال»

أصله قول امرىء القيس[١٢٠] :

سموت اليها بعدما نام أهلها | سمو حباب الماء حالاً على حال

وقلت مضمناً :

بحمامه أرخى الذوائب ناشراً | لها فوق وجه مثل بدر مكمل
فناديت ذاك الشعر مذ طال جنحه | «الا ايها الليل الطويل الا انجلي»

أصله قول امرىء القيس[١٢١] :

ألا أيها الليل الطويل الا انجلي | بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقلت :

كأنما عرق الحمام حين جرى | في شعر فاتنتي نظما على نسق
شهب تخرُّ بليل أليل نشرت | منه الذوابات مدهما على الأفق

وقلت :

وهيفاء في حمامنا قد تجرَّدت | عن الطاس لما حملت منه وهنه
اقامت مع التجريد في الصدر برهة | وقد نشرت من شعرها ما أجنه
رات عرقا منها تساقط لؤلؤ | خلال نقي الخد رطبا وضمنه
فظنته عقد الدر من جيدها | وما المرء الا حيث يجعل ظنه
كبلقيس في عرش لها اذ ترددت | وقالت على التشكيك فيه كأنه

---

(١٢٠) ديوانه ص ٤٨ .

(١٢١) ديوانه ص ٣٦ .

وقلت :

غانية في الدِّبـاس قد نعمت حتـى أبانـت له أثرا
تلتقـط الرشـح من معاطفها تحسبـه عقدهـا قد انتثرا][122]

وقال [مجير الدين بن تميم][123] أيضا رحمه الله تعالى مضمنا في مليح نشر ذوائبه في الحمام[124] [وهو أبيض اللون واستلقى في الصدر عليه خادم أسود من خدم الحمام يخدمه بالتكبيس ونحوه][125]

عاينـت في الحمام أسـود ثاويا[126] من فوق أبيض كالهـلال المسفر
فكأنمـا هو زورق من فضة قد أثقلتـه حمولـة من عنبر

[قلت التشبيه في هذا النظم للمليح الأبيض وعليه خادم الحمام الأسود كما ترى ولهذا قال : فكأنما هو زورق من فضة البيت ولكن قوله في البيت عاينت اسود يا[127] البيت يأباه ويوهم أن التشبيه للأسود لا للأبيض وليس كذلك كما ترى فكان الأولى في البيت الأول لو أنه قال مع زيادة لزوم ما لا يلزم :

عاينـت في الحمام أبيض فوقه يا قوم أسـود عن معائبـه بري

وأصل هذا التضمين من قول ابن المعتز في تشبيه الهلال :[128]

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلتـه حمولـة من عنبر]

ومما أورده الإمام العلامة سعد الدين التفتازاني[130] رحمه الله تعالى في شرحه

---

(١٢٢) هنا ينتهي الساقط من (هـ) و (ت) .

(١٢٣) زيادة (ح) لسياق المعنى .

(١٢٤) ساقط من (هـ) و (ت)

(١٢٥) البيتان في الغيث المسجم ج ١ ص ١٢٢ .

(١٢٦) في الغيث «واثبا» .

(١٢٧) كذا في الأصل .

(١٢٨) ديوانه ج ٢ ص ١٨٥ ط دار المعارف .

(١٢٩) ساقط من «هـ» و «ت» .

(١٣٠) هو مسعود بن عمر من علماء البلاغة توفي سنة ٧٩١ .

المطول لبعضهم في الاقتباس وذلك في صبيح الوجه وقد دخل الحمام وحلق رأسه وهو :

تجرد للحمَّام عن قشر لؤلؤ ... وألبس من ثوب الملاحة ملبوسا
وقد جرد الموسى لتزيين رأسه ... فقلت لقد اوتيت سولك يا موسى

وقلت انا :

ريم أتى الحمام والنار التي ... في جوفه وجداً عليه تسعَّر
لما تجرد عن ملابسه حكى ... والرشح كالدرر النسيقة تنثر
كوزا من البلّور فيه ماؤه ... والقطر في جنباته يتحدر

وقلت أيضاً :

مال في الحمام والر ... شح به ينثر قطرا
فهو في التحقيق غصن ... مائل أثمر درًا

[(١٣١) وقلت مضمنا :

وريم غدا الحمام ينظم جوهرا ... عليه بتعريق كمنتثر العقد
على خده ما زال يسقط ذائبا ... «سقوط الندا عند الصباح على الورد»

أصلها قول ابي الطيب بن رضي الدين الغزي نزيل الشام :

سقطنا عليهم كي نلذ بقربهم ... سقوط الندا عند الصباح على الورد

وقلت مصدرا ومعجزا لبيتي الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله وهما مشهوران :

يقول وقد بدا قمراً وغصنا ... بحمَّام على ماء سخين
وماس القد منه شبيه رمح ... حباه حسنه هيف بلين
وخذ كافور رشح فاح نشرا ... فهذا الطيب من عرق الجبين

وقلت :

(١٣١) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ) و (ت) .

لما تعرق خده في وسط حمام أنيق
أودعته قارورة وختمت بالمسك الفتيق/
وذخرته طيبا كماء في جام رقيق

ذكرته هنا ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذي تفعلين قالت عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب][132]

وقلت :

قد دخل الحمام اذ حمى فما قط برد
عجبت لما لم يذب وجسمه من البرد

وقلت :

صادفت في الحمام من بوصفه الطير صدح
أسكرني بحسنه حتى رميت بالقدح

وقلت :

جاؤوا به الحمام إذ أشعلوا وأجّجوا مضرم نيرانه
فاعتصروا ورد خدود له واستقطروا نرجس أجفانه

[وقلت فيه وقد اتكى في المسلخ ـ وهو المخلع ـ وصار ينشف وجهه وشفاته بمنشفة منديل لطيف وفيه الجناس :

منشفة الحمام مرت على ثغر المليح عزَّ أن أرشفه
كم قلت ويلاه وذاك الويل من منشفة قد وردت من شفه][133]

وقلت فيه إذ صفر جسده بالحَنَّا :

صَفَّر في الحمام منه جسداً فراق لي عن شكله الجميل

---

(132) انظر هذا في الشفاء للقاضي عياض ج 1 ص 63 ط دار الفكر ببيروت .
(133) ساقط من (هـ) و (ت) .

لا تحسبوه بشراً فإنه ... شمس بدت في صفرة الأصيل

وقلت فيه أيضا مع الجناس/

وشادن قد نضا الأثواب عن جسد ... كفضّة اذ الى حمامه ذهبا
وخضب الكف بالحنا فها هو قد ... أحال فضّته في لحظة ذهبا

وقلت فيه أيضا :

هذا الدباس بعلم الكيميا فطن ... إذ جاءه من لعقل العاشقين سبا
ألقى عليه من الحنا ما رجعت ... لأجله فضة من جسمه ذهبا

وقلت أيضا في مليح ينغمس في الماء الحار في مغطس الحمام ويغيب فيه :

أشاهد في الحمام من لو أقسته ... بغصن النقا قالوا لقد جاء بالمين
توارى يخوض الماء منغمسا به ... لقد صح ان الشمسَ تغرب في عين

وقلت فيه أيضا :

ولم أنس في الحمام ريماً عيونه ... بأسهمها في مهجة الصبّ راميه
فلو لم يكن شمساً لما غربت كما ... نشاهد في عين من الماء حاميه

[أقول][134] يعرف حسن هذا المقطوع من عرف قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وابي بكر عن عاصم في قوله تعالى عند ذكر وجود ذي القرنين للشمس في أقصى الغرب لما توغل في الدخول الى هناك فوجدها تغرب في [عين حمئة ، فان هؤلاء القراء المذكورين يقرؤون في عين][135] حامية باثبات الألف فبذلك يعرف حسن النظم .

وقلت في مثله :

نظرت شمساً منه في ... برج السماء الساميه
وجدتها تغرب في ... عين المياه الحاميه

---

(١٣٤) ساقط من «ح» .
(١٣٥) ساقط من (ح)

ومن اتفاق الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر . أن أنشدني السيد ضياء الدين عيسى بن محمد بن عبد القادر أطال الله أيامه لنفسه في مثل هذا قوله :

وغـــزيل لما غدا متصفّرا   في غربـه شاهـدت شمسـا ثانيه
في وسـط حمـام فلا تتعجبوا   فالشمس مغربهـا بعـين حاميه /

وقلت أنا في مليح حبشي دخل الحمام وفيه القول بالموجب لأن أهل الحبشة يبدلون العين المهملة في كلامهم ألفا فيقولون في عرق أرق ونحو ذلك :

دمعـت عيون العاشقـين بأسمر   حبشي أصـلٍ ذي خصـال جامعه
إن قال أبـدل عـين ما قد قاله   ألفا وحـيرّ بالعجائـب سامعه
لم أنسـه إذ قال في حمامه   وجواهـر العـرق المنظـم لامعه
قصـدي بـذا الحمام حـين دخلته   أرق فقلـت من العيون الدامعه

وقلت فيه أيضا [القول بالموجب](١٣٦) :

وأسمـر ذو لكنة أعدمنـي منـه الحجا
قد دخـل الحمام في اللـيل إذ الليل سجى
وزاد قلبـي وسطه وجـداً وحزنـا وشجا
وقـال لي في صدره أرقْـتَ قلـت في الدجى

وقلت فيه مضمّناً أيضا :

حبشي أصلٍ أسمر قد قال في الحمـ   ـام لما كاد منـه يحرق
كم قد تحـدّر فوق جسمـي عاريا   أرق على أرق ومثلي يأرق

[وقـال صاحبنـا الفقيه يوسف بن علي(١٣٧) الأديب العصري رحمـه الله تعالى :

لو شاهـدت عينـاك أعطافـاً له   مخضوبـة بعصـارة الحناء
لرأيت ياخـدن الصبابـة والصبا   ذهـب الأصيل على لجـين الماء

---

(١٣٦) ساقط من «هـ» و «ت» .
(١٣٧) هو الأديب يوسف بن علي الهادي الكوكباني من الادباء الشعراء له مؤلفات توفي سنة ١١١٦ «انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٣٤٠»

وقلت أنا مضمنا مع الجناس وقد دخلت الحمام مع أحباب لطفاء :

عمــدت الى الحمام مع ندمــة لهم　　لطيف سمات دونهــن الجذائب
جرى العــرق السيال منهــم كأنه　　دمــوع محـب فارقتــه الحبائب

أصله قول عبد الحق الشامي المعروف بالحجازي(١٣٨) رحمه الله تعالى/

كأن دمــوع المزن وهـي سوائل(١٣٩)　　دمــوع محـب فارقتــه الحبائب(١٤٠)

وقلت ايضا وقد دخل بعض الحمامات جماعة من العرب البيض في الأجساد وجماعة من أمراء العبيد الذين ألوانهم في غاية السواد :

في صدر حمامنــا من الندما　　بيض وســود بنــا قد ازدوجوا
كالــدر في الصــدر من مهفهفة　　خالطــه في نظامــه السبج] (١٤١)

---

(١٣٨) هو الاديب عبد الحق بن محمد الدمشقي الحجازي ولد سنة ٩٦٢ وخرج في شبيبته الى حلب ورحل إلى الروم توفي سنة ١٠٢٠ «خلاصة الأثر ج ٢ ص ٣١٠»

(١٣٩) الريحانة «سواكب»

(١٤٠) انظر في الريحانة ج ١ ص ٢٦٣ من قصيدة طويلة أولها :

سقــى الربــع هطــال من المزن ساكب　　وجــادت عليه الســاريات السوارب

(١٤١) ساقط من (هـ) و(ت)

فصل في الكلام على ما قيل من الاستدعاء إلى الحمام

كتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى الى بعضهم يستدعيه الى الحمام ما صورته :

هل لك أطال الله بقاءك في المشاركة بالجمع بين ماء ونار . وأنواء وأنوار . وزهر وأزهار وقد زال فيه الاحتشام فكل عارٍ ولا عار . نجوم سمائه لا يعتريها أفول وناجم رخامه لا يقترن به ذبول تتنافس العناصر على بلوغ مائه وتتحاسد على ادراك آلائه . فأرسل البحر ما جسده من زبده . لتقبيل أخمصه اذ قصرت همته عن تقبيل يده ، ولم ير التراب في هذه الخدمة مدخلا ، فتطفل وجاء لما علم أن التشريح لمن جاء متطفلا ، وأغلت النار ضدها الماء فدخل وهو حر الأنفاس كالنار ، ورأى الهوى أنّه قصر عن مطاولة هذه النار ، فنظر من ورا زجاجة الى تلك الدار ، ثم أن الاشجار رأت أن لا شائبة لها في هذه الخطوة ، ولا مساهمة في تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط كفًّا أحسنت بما تدعو اليه الفرق ، ومرت في سواد العذار الفاحم كما يمر البرق ، بيد قيم بحقوق الخدمة، عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمة، خفيف اليد مع الأمانة موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهانة ، لطيف أخلاق كأنه عتاب بين جحظه والزمان . فلا يمسك يداً إلا بمعروف ولا يسرح تسريحاً إلاّ بإحسان ، أبداً يرى مع طهارته وهو ذو صلف . ويشاهد مزيلاً لكل أذىً حتى لو خدم البدر لأزال ما بوجهه من الكلف ، بيده موسى كأنها مصباح ينسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كلما اذا أخذ صابونه أفهم من يخدمه بما يمر على جسده أنه بحر عجاج وأنه يبدو منها زبد الأعكان التي أحسن من الأمواج فهلم الى هذه اللذة . ولا تعد الحمام دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذَّة والسلام .

قوله «فنظر من وراء زجاجة الى تلك الدار» هو لا يخفى أن الحمام لا بد فيه من الزجاج . فبهذا لطفت هذه الفقرة وهو يشير بها الى بيت قديم مشهور :

قلت أنا في تضمينه برمته :

دخلت إلى الحمام والخل لم يكن ... صحيبي ونار الصدر شوقا تسعر
وقد راق لي منه الزجاج وجامه ... يدور بخمر للمسرة تعصر
فما زلت في نار وخلي منعم ... بجنة دار منه تزهى وتزهر
وقفت كأني من وراء زجاجه ... إلى الدار من فرط الصبابة أنظر

[وكتبت] مخاطبا لبعض الأخوان استدعيه الى الحمام وذلك في شهر القعدة الحرام سنة اثنين وعشرين ومائة والف سنة ما لفظه :

دعانا داعي الشوق إلى حمام يُصدق المادح له ويكذب الذمّام شريف القباب والحيطان ما هو الا بيت الملائكة الكرام من غلمانه الحسان فكيف يقال أنه بيت الشيطان لقد راقت أساليبه وبكت بالدمع الغزير أنابيبه فظهرت عند ذلك من مخالفة العادة أعاجيبه فان دموع أنابيبه المارة جرّت للمسرة لا للحزن مع أنها حارة ينفق صدره من سعته وينزل به الوافد على سكونه ودعته . يأتي بالفرح على الفور ، ويذكر المشتاق بمنازل أحبابه لأنه/ إذا نزل بقعره فقد نزل على الغور ذخائر خزائنه لا تفنى فكم أغنى بها وبأكياسه من أغنى ، حُميت ناره وهي على داخلية برد وسلام ودارت به راح المسرة ولاغرو ففيه قدح وجام قد جمع الضدّين من الماء والنار فعد ذلك من طوله ولم يستصعبه أبدا كما استصعبه ابو الطيب المتنبي في قوله :(٢)

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

مغطسه مغناطيس العافية وأحواضه لنقع الغلة كافية وافية . وأقداحه تأتي بخمرة السرور دهاقا فتصرع بها زمرة من الندماء ورفاقا . فإذا هم من السكر على صدره صرعى يعلنون بالغنا المطرب ويشببون بسفوح المنحنى ومنازل الجرعى يقرب البعيد من الأفراح بنواظير جامه الشفاف ويكفكف بكف الحرارة منه دمع عرقه الوكاف ما بينه وبين الأحزان علاقة . فكم له من طاقة على فتح أبواب

---

(١) ساقط من (ح)

(٢) ديوانه ص ١٧٦ ط دار صادر

الانشراح وان لم يكن له طاقة مسلخه مسل للحزين اذا سلخت عنه الخاء يكثر المستحم به شد مئزره فلا توجب كثرة ذلك الشد إلاَّ رخا يعد أمينا على ما يطرح فيه من الملبوس ويستلقي فيه ذو النصب فتسكن اعضاؤه وتستريح من الشدة والبوس قد أنيفت به الدكوك التي هي مقعد الملوك به كل معنى رائق وفيه من البديع طرائق فقد أحرز طرائقه ودكَّه [وهدم ركن الأحزان ودكه][٣]

كأنه موضع الإحرام إلى البيت الذي به كل ملهوف هبط إذبه يتجرد الداخل عن ملابسه سوى المئزر فقط تحل به الملابس فعريانه إن شاء الله تعالى مستور به عقود تنحني على الداخل انحناء القوس الموتور فهو بذلك قد أحرز الحل والعقد وجمع المحاسن فما بذلك الجمع من نقد ، في جدراته/ صور من حسان الدمى . تريق بحسام[٤] جفنها من الناظرين الدما ، وأشجار كأشجار الحديقة تسقيها من تحتها فسقيه بأمواه غديقة ، يالها من فسقية قطع العامر أحجار رخامها فهي مرخمة وأنق عمارتها بذوات الألوان المختلفة فهي مسهَّمة فترخيمها للتحسين ورونقها نابت على طريق واحد من الصفاء وإن كان ذا تلوين كأنها مرآة صقيلة الجوانب ، قد وضعت بين يدي الخرد الكواعب فجميع الصور المصورة في الجدرات المنصوبة ينظرن فيها نظر الغادة المحبوبة فهن يتنافسن على النظر فيها تنافس العشاق على الحبيب وينظرون فيها أيهن الأحسن الأشبه بالظبى الربيب بل أيهن أجمل وجهاً وأسحر طرفا وأيهن قد حكت الغصن المائل من النعمة عطفا فسقية تركيبها عجيب ، وبركة جديرة بقول الشريف العقيلي[٥] الأديب :

وبركة قد افادنا عجباً	ما مأج من مائها وما انسكبا
من حول فوَّاره مركبة	قد انحنى ظهر مائِها[٦] تعبا[٧]

---

(٣) ساقط من «ح»

(٤) (هـ) و(ت) بحسن

(٥) هو علي بن حيدره من أدباء القرن الخامس

(٦) ديوانه «ماسال»

(٧) الأصل ظهر بها

أو كما الأمير مجير الدين بن تميم رحمه الله تعالى :[٨]

لو كنت إذ ابصرتها فوارة للشمس في امواجها لألاء
لرأيت أعجب ما ترى من بركة «سال النضار بها وقام الماء»

[لا أقول في تشبيه مائها على طريق المجون ولا أنشد فيه قول الشاعر وان كان الحديث ذا شجون :

كأننا والماء من حولنا قوم قعود حولهم ماء][٩]

في هذه البركة شاذر وإن قد قام للخدمة وانتصب لها بأرفع عزم وهمة ، إذا شاهد الماء يسيل وينبع قال له لا تجاوز الحد في علوك عليّ فلي قبالة/ كل عين منك أصبع فله أصابع تشير إلى المرغوب ، وتعقد خناصرها على كل مطلوب ، يتحدّر الماء من خلالها ، كأنها أصابع الرسول المصطفى ، وتمد منه قضبانا من الفضة في أبلغ ما يكون من الرقة والصفا ، فاذا تكسرت تلك القضبان وتشققت عادت إلى الارض وهي ككبار اللؤلؤ الذي به الحسناء، قد تطوقت بتسلسل مائه المطلق ويجتمع من مكسره ما تبدد وتفرق ويخرج منه ذوب الفضة من الذهب الجامد . هذا وكم لذلك الحمام من محاسن وكم له من محامد فما هو إلا نعمة يألفها المترفون وجنة لا يصدعون عنها ولكنهم بماء الورد ينزفون ، ومن تمام محاسنه بعد الكمال وجود قيم فيه في نهاية الحسن وغاية الجمال أرسل الليل من شعره على النهار من جسده ، وأغار بمحياه البدر فنحل حتى عاد هلالاً من حسده ، ومن العجيب وهو قمر وشمس حل من الحياض والمغاطس في بروج[١٠] من الماء بأن من دخل الحمام وهو فيها لا يضره ، فأكذب ما قاله الحكماء ، أوى من الحمام إلى جهنم وهو من حور الجنان طال به الإقتنان لما لطف من بديع حسنه الإفتتان ، حكى بحسنه من مقام جنة الفردوس حوره لو لم يكن بدراً لما أفاض على أجساد القوم نوره ، طرفه نرجس بالندا من العرق مبلول وخدّه بالرشح ، الذي حكى سقيط الطل ورد مطلول مدامه في فمه فهو من شفه ، وخدمته تزيد

---

(٨) انظر ديوان الشريف العقيلي ص ٤٩
(٩) ساقط من (هـ) و(ث)
(١٠) ح «برج»

المخدوم نعمة إذا جاءه للعرق بمنشفـة ، ألفـيّ القامـة فلا ينـكر إذا كان عليه الهمز ، منزه عن السعي بالنميمة ، على انه لا يفارق الغمز ، شد المئزر للقيام بالخدمة شدّاً وثيقاً ، وجاء بالماء فضه ذائبه فأراقه عند غسل الحنّا عقيقـا . بل جاء به نهاراً فأغداه أصيلاً . واغترفه من الحياض ماء فأحاله في الحال سلسبيلا يأخذ لحلق [الشعر[11] موسى فيخرجها من تحت أسوده الفاحم بيضاء من غير سوء كما أخرج يده موسى فأهل الوجد به هائمون ، وصابون قد استلذو وأخدمته لهم بليف وصابون ، فهلم أيدك الله تعالى إلى هذا الحمام سعيا وبادر إلى مائه وأشجار تصاويره فسقيا ذلك ورعيا ، ولا يقعدك التواني فالزمان فرص ولا تعرض عن الصيد وبادره إذا حان القنص فاني لم ألق قياسا في نعمه توازي نعمة الحمام ، ولم ألق نص ، فهبا اليه هَيّا فإنه لقدومنـا بالرغائـب قد تهيا وان كنـت صدراً لا يحتاج من الحمام إلى صدر ، وشمسا ساطعة الأنوار فلا تشتاق من قيمه إلى طلعة البدر وذاكيس ملآن من المال فلا يفتقر إلى كيسه المعطل الحالي وذا ملابس جديدة فلا يلتفت إلى مئزرة الخلق البالي وذا زند وري من الذكاء فلا تقتبس من ناره أو مصباحه وذا كؤس من شراب العلم والأدب ملانة فلا تهش إلى جامه وأقداحه وذا ماء من النعيم بارد معين فلا تظمأ إلى ورود حياضه الممتلئة بمـاء سخين ، وذا عرض نافح بالعطر فما حاجتـك منـه إلى الجيفـة وذا بدن طاهـر فلا حاجة لك منه إلى الصابون والليفة لكن قضت بذلك المنادمة ولو على النار الجاحمة ، وأوجبته المؤانسة ولو مع ندامى أجسامهم لضيق المكان متزاحمة ودعت اليه المساعدة للاخلا ولو على أنفاس من الحرارة متصعدة وندبت اليه المخاللة ولو على أوساخ لكثرة إماطتها متجعدة فبادر الحمام وساعد الحميم فانهض إلى ذلك المكان الذي هو ندى وانت نديم فقد تأججت نار شوقه اليك في ملة واشتاق إلى أن يضمك إلى صدره وكم عظيم سواك قد مله ولكن فمن له بنظيرك في هذا العالم ومن له والسلام عليك نحدّ على الرياض نبت نمام وما دعى الصديق صديقه إلى الخلوة في جوف حمام انتهى .

بيان

في هذا المنشور الذي كتبناه ألفاظ ربما خفي معناها اللـطيف على الحاذق

---

(11) هنا بداية النقص في «ح»

اللبيب فليس لنا من بد في بيانها وايضاحها عن ايراد نبذة معترضة هنا وقد أعرضنا عن توضيح الواضح من سائر الفقر :

قوله ياتي بالفرح على الفور فيه تورية ظاهرة لأنه يقال جاء فلان على الفور أي على السرعة من قولهم أتوا من فورهم ولأن الفور هو الشيء اذا جاش وهاج ونبع يقال فار يفور فوراً اذا جاش ويقال فرته وأفرته ويقال فار العرق فورانا هاج ونبع وبذلك عرفت التورية .

ولذا أني قلت في التورية أيضا :

مذ فارت القهوة حتى غدت   أنفاسها تشكو من الجور
قال غلامي هل بها هاهنا   آتيكم قلت على الفور

قوله فلا يوجب كثره ذلك الشد الارخاء يقال في أمثال العامة «كثرة الشد ترخي» وإيراد هذا المثل هنا وافق محلّه لمناسبة المقام مع ذكر شدّ المئزر وفي هذا المثل قال الشيخ ابو محمد عبدالعزيز الهاشمي العباسي(١٢) الزمزمي رحمه الله تعالى في همزيته المشهورة في مدح رسول الله ﷺ :

لاتشدّدْ إن لم يعالجك لطف   كثرة الشد توجب الإرخاء

وقال القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي رحمه الله تعالى في مليحة نصرانية

زنار بنت النصارى   فخ لها أي فخ
ارخاني الشدّ منه   وكثرة الشد ترخي

قوله فقد أحرز طرائقه ودكه فيه مع الفقرة التي بعده الجناس](١٣)كما ترى وفيه أيضا تورية لأنّ الدكة معروفة ، مفرد الدكوك المتقدم ذكرها في قوله فقد أنيفت بها الدكوك فالدكة رفع العمارة في جوانب المكان واستواؤها فهي في اللغة المستوى من المكان والدك علم(١٤) معروف يسمى علم الدك والطرائق ولذا قلت(١٥) فقد أحرز طرائقه ودكه» وبذا عرفت التورية .

---

(١٢) أديب وشاعر وفاته سنة ٩٧٦ (النور السافر ص ٣٢٠)

(١٣) هنا ينتهي نقص «ح»

(١٤) هو علم يعرف بالغش في البضائع والصنائع

(١٥) هـ وت : قلنا

قوله فهي مرخمة فيه تورية لأنه يحتمل أن يكون معنى قوله مرخمة أي مقطوعة يرشح لهذا المقصد ، قولنا قطع العامر لأن الترخيم القطع يقال رخمت الدجاجة بيضتها إذا[16] قطعتها ويحتمل ان يكون معنى قوله مرخّمة أي معمورة بأحجار الرخام يرشح لهذا المقصد قولنا أحجار رخامها وبذلك عرفت التورية .

قوله فترخيمها للتحسين هو لطيف لان الترخيم في أصل اللغة [بمعنى[17]] التحسين .

قال الشاعر :

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

أي حسن الحواشي

وما أظرف قول إمام الأدب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصري رحمه الله تعالى في ذكر جامع دمشق المحروس ورخامه :[18]

يا حسن ترخيم بجامع جلّق ... متناسب التركيب والتقسيم[19]
بزيادة التحسين خالف قول من ... قد قال ان النقص في الترخيم[20]

وذلك لأن الترخيم عند النحاة نقص الكلمة عن حروفها الموضوعة فهو من القطع كقولك مثلاً في حارث يا حار ونحو ذلك فمعنى هذا النظم أن الترخيم لهذا الجامع أي وضع الرخام فيه كان زيادة تحسين له ولَيس هذا بنقص كما قاله النحاة وهذا معنى حسن .

قوله (فلي قبالة كل عين أصبع) يضرب هذا المثل في الإنسان يصنع بصاحبه الشر وصاحبه عنده/ من الشر أيضا ما يؤ ذيه به إذا أراد ، فمعناه أن أمام عينه منه قذى فيؤ ذيها ولكن فضرب هذا المثل هنا مناسب لأن الشاذروان ذو أنابيب

---

(١٦) ح «إذ»

(١٧) ساقط من «ح»

(١٨) ديوانه ص ٤٧٤

(١٩) الديوان : لله ترخيم بجامع جلق متجانس الترصيع والتعظيم

(٢٠) الديوان :

وازداد تحسيناً يخالف قول من ... قد قال أن النقص في الترخيم

كالأصابع ولأن الماء ذو عيون متفجرة فهذه الفقرة في الحسن من باب قول الأمير مجير الدين بن تميم رحمه الله تعالى :

من لاحظ المنثور طرف النرجس المـ ـزورّ قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سواي فإنني عندي قبالة كل عين إصبع

قوله (ومن العجيب وهو قمر وشمس) إلى آخر الفقرتين هذا معنى لطيف حسن لأن الحكماء قد نصوا كما تقدم ذكره بأن الحَمَّام ضار لمن دخله والقمر والشمس أوهما معاً في أحد البروج المائية وهي السرطان والعقرب والحوت .

قوله (لو لم يكن بدر الماء أفاض على اجساد[21] القوم نوره) فيه تورية لأن نور البدر ضوءه والنورة معروفة . وهي مما يستعمل في الحمام كما تقدم ذكره ومما قصدت به التورية في النظم قولي أيضا في خادم الحمام وهو غلام جميل

بدر الدّباس بنوره وافى وقد أبدى ظهوره
شاهدت في يده ومن بدر له قد راق نوره

قوله إذا كان عليه الهمز قد عرفت الهمزة على الألف والهمز أيضا في اللغة الغمز بالغين المعجمة والغمز باليد معروف وهو من شان قيم الحمام ففي ذلك مناسبة مستحسنة

قوله على أنه لا يفارق الغمز الغمز بالعين المعجمة والزّاي معروف وهو من شان قيم الحمَّام كما ذكرنا ولذا قلنا في الفقرة على أنه لا يفارق الغمز والغمز [واللّمز][22] أيضا السعي بالنميمة والشر بين الناس ولذا قلنا منزه عن السعي بالنميمة ، ففي الفقرة كما ترى ما لم يخف على اللبيب من الحسن ، انتهى ما أردنا بيانه من معاني فقر هذا المنثور ومن الله الاعانة .

[وكتبت[23] أيضا في شهر ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومئة وألف سنة إلى صاحبنا السيد العارف الأديب فخر الدين عبد الله احمد بن يحيى بن

---

(٢١) (ح) اجسام
(٢٢) ساقط من (هـ) و(ت)
(٢٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ) و(ت)

المفضل[٢٤] رحمه الله تعالى أستدعيه من حصن كوكبان الى مدينة شبام حرسا عن الأسواء لدخوله صحبتنا إلى الحمام المعمور ما صورته :

يا نعم الجليس والقرين المنادم ويا خير غائب على أنه علي إن شاء الله تعالى باليمن قادم هل لك في زيارة الحمام بلا وعد ، وهل لك في التقارن به لا على النحس بل على السعد نرد نحن وإياك النعيم ونستخرج إستخراجه الجنة من طبقات الجحيم فما صدر ذاك الحمام بضيق ولا حرج ولا غمة من متصعّد الأبخرة إلاّ منفرج ندخله وقت الضحى وإذا نحن في نعمة لا نزال فيها فاكهين ويعظمنا خدامه فما فيهم لنا من مهين ويَصبُّوا علينا ماء كثيراً لا ماء مهين فلا يفترق حتى نرد على الحوض ولا نخوض إلا في حديث يريح الخاطر فيه الخوض نعقد المآزر بعد حل الأردية ونلج في قبابه الضيّقة لكنها أرحب من فسيحات الأندية يسعى في خدمتنا ولدان ، قد صفت منهم الوجوه ، وصقلت الأبدان ، يستقطر ماء الورد من خدودهم ، وتستجلا الأقمار التامة بشهودهم وقد طلعت على السماك الرامح من قدودهم ولا تخف من عقارب أصداغهم لسعاً ولا يذدك عن لمسهم لجسدك بالخدمة كل ذؤ ابة لهم كأنها حَيّة تسعى ولا يرعك من عرقهم النجوم فانما هي إذا تساقطت من سموات جباههم لمردة الحسّاد رجوم من حيث أنه لا يحضر ذلك المقام حاسد ولا يلم بذلك المجد الصحيح بالمسرات والنعم أبداً فاسد أستجير بالله من أرباب الغدر وأعوذ برب الناس أن يحضر خَنَّاس يوسوس من ذلك الحمام في صدر ، فبادر بادر الله إليك بكل عارفة ، وينشر عليك من حلة الفضل ، وقد تجردّت للحمّام عن ملابسك مطارفه ، فعسى يهزك سالمك ، ويتحرّك من تفريطك إفراطك ، وتخالط درر عرقك من نفثاتك أقراطك ، فانهض فما دعوتك إلاّ إلى نعيم ، وبادر فما قلت لك هلم إلاّ كفيل بالمسرات زعيم فليكن إنحدارك في «العقبة» إنحدار مسرع وإدارتك على شراب المحاورة ، إدارة مترع ، واشفع عرقك عند النزول من «الحصن» بالعرق الثاني من الحمام . وأصخ سمعك لمادحه ، ومن الواجب سدّ صماخيك عن الذمام ، فقد أبان نفعه الاطبا وتلعّب بالمعاني في وصفه الإلبّا واثنوا عليه بمايعظم إليه الشوق ويحمل على تقلّدجواهر

---

(٢٤) ترجمته في نشر العرف ج ٢ ص ٨٢

العرق فيه رغبة ورغبه عن الطوق حتى لا يود العليل منه الخروج ولا يقنع المتنزه في رياض مسلخه بأن يستبدل عنه حدائق المروج ما دخل ذو علّة إلاّ برى من علته ولا جعل حَرَّ ملّتِهِ إلاّ مستمر دينه وملّته ، حتى ود عليل النسيم ، لو أذن له بالولوج في أبوابه الموصدة على الجحيم ، والتزمل من مآزره ، ذات اللحمة والسدّا بمبلوله العرق عوضاً عن بليل أذياله من النّدا فقد أختار اللبيب خدمة غلمانه ، على خدمة الحسان من الحور ، وقال من لم يجعل له نوراً من زجاجه فماله من نور ، فقم بنا نسارع إلى ذلك الحمام ، قبل ان يتفطّن الساعي ويتيقظ النّام ، فالفرص تغتنم عند إمكانها ، والرياح تستنشق عن بردها قبل تعقب إسكانها والله يديم علينا وعليك نعمة الحمّام ، ويجدد لنا مآزره فلا تخلقها الأيام ، وبركات الله عليك والسلام][٢٥]

وقال نصير الدين الحمامي رحمه الله يستدعي صديقاً الى الحمام :

من الراي عندي أن تواصل خلوة لها كبدُ حَرّى وفيض عيوني
تراعى نجوماً فيك من نار قلبها وتبكى بدمع[٢٦] فائض كحزين
غدا قلبها صبًّا عليك وأنت إن تأخرت تضحى في حياض منون

وقال بعض الظَرفا المتأخرين يستدعي بعض إخوانه إلى الحمام !

هلم لوصل حمام بديع يفوق رخامه زهر الرياض
لبعدك ماؤه ما طاب قلبا وأمسى من فراقك في الحياض

أقول في هذا النظم تلطّف لطيف فإن ماء الحمام في الحياض لا محالة ثم انه يقال في تعارف المتأخرين فلان في الحياض أي في سكرات الموت كما يقال هو في النزع والغرغرة فمعناه أنه من فراقك في الحياض أي في سكرات الموت وليته قال في البيت الآخر هكذا :

لبعدك ماؤه ما طاب نزعاً وقد أضحى لنزحك في الحياض

فإن النزع إستقاء الماء من قولهم نزع الدلو إذا اسقي بها فهو كالنزح ، والنزع أيضا هو علاج سكرات الموت فذكر النزع يناسب قوله في الحياض على ما

---

(٢٥) هذا الاستدعى بنصه ساقط من هـ و ت

(٢٦) (ح) بدمعي

ذكرناه ، من أنه يقال فلان في الحياض أي في سكرات الموت وأيضا فان المعنى في البيت على ما صَوَّبْناه يصير معنىً ظاهراً في غاية ما يكون من الاستقامة ، إذ معناه أن الماء لبعدك ما طاب نزعاً وإذا لم ينتزع فهو باق في الحياض وهذا كما تراه في نهاية من حسن المعنى ووضوحه ، وأيضا فانه يزيد حسن معناه بقولنا وقد أضحى لنزحك أي لبعدك لأن النزح هو البعد يقال نزح إذا بعد وهو المراد في البيت وفي ذكر النزح مع ذكر الماء مناسبة لأن النزح أيضاً هو إنتزاع الماء من الحوض والبئر ونحوهما حتى ينفد أو يقل ومع ذلك فإنه يكون في البيت أيضاً من البديع الجناس بين النزع والنزح كما لا يخفى .

وقد نظمت أنا هذا المعنى مع ذكر الموت والنزع والحياض وكل ذلك متناسب فقلت :

سارع لحمامنا وبادر ... إليه يا نازل الرِّياض
فانه قال قول صدق ... إذ فاته الصبر والتغاضي
قد حان موتي لفقد قوم ... ببعدهم صرت غير راض
ومن عجيب بأن مائي ... مع عدم النزع في الحياض

[وقلت أيضاً من النظم أستدعي عظيماً من الإخوان إلى الحمام وذلك في شهر الحجة الحرام سنة أربع وعشرين ومئة وألف سنة :

ألا هل يرى مولاي إسراعه الى ... نعيم بحمام ومسلخه الرّحب
يعالج أبدان الأنام بحكمة ... له ظهرت تخفى على الحاذق الطّب
وينفي عن المغموم ما حل خَوفه ... من الغمّ والهم المبرح والكرب
بسلب ثياب عَند إيجاب نعمة ... يظل على الايجاب من ذاك والسلب
فهل لك منه بالنعيم ولا تخف ... به دركا تخشاه باللوم والعتب
فتنعم فيه إذ تحل بصدره ... وإن كنت صدراً حل بالود في قلبي
وفيه بأيدي خادميه على الهنا ... تقلبك الأفراح جنباً على جنب
تراهم وقد شدوا مآزرهم على ... روادف بيض كالاكام وكالكثب
وينثر منه الحر فوقك لؤلؤاً ... من العرق المنظوم كاللؤلؤ الرطب
ومن مائه أو من فؤادي على اللظى ... يحييك في الحالين والله بالصب
فخذ ذهب الأفراح من كيسه ومن ... خزائنه من غير كدّ ولا كسب

وسف طلا من جامــه وزجاجه | عليها حباب الرشح ينظم كالشهب
وبــادر وقــاك الله ناراً بمهجتي | على نار حمـام تأجـج بالشب
ودم ما شدا ماء الحياض كطائر | وقد قوّمت منه الأنـابيب كالقضب][27]

وقلت أنا ايضا أستدعي صديقاً إلى الحمام وعين الماء فيه بيضا ففيه لطف وهو :

بادر الى الحمام وانظـر إلى | دمـع له صوّب كالمزن
فصـدره اسْـوَدّ بنـار الجوى | وعينـه ابيضـت من الحزن

ولما[28] كتب بعضهم إلى الشيخ برهان الدين القيراطي[29] رحمه الله تعالى مكتوباً يستدعيه إلى الحمام قال في جوابه :

قد أجبنا وأنت أيضا فصُبّحـت بصبـح سوالف وسـلاف وبسـاق يسبـي العقول بساق ، وقوام وفوق العناق خلاق ، يقبل الأرض وينهي أن المملوك ما خرج عن الاهتمام ، لدخول الحمام ، فانه متشوق لمولانا متشـوق إليه وموجـه، فكرته عليه وكيف يمكن الوقوع في الخلاف والميل إلى الإخلاف ، شعر :[30]

وحمامــكم كعبــةً للوفود | نحـج إليه حفـاة عراة
يكرّر صوت أنابيبه | «كتـاب الطهـارة باب المياة»

فلا عدمت التنبيه من مولانـا على هذا المنهاج ولا فقـدت ألفـاظ آدابـه الممدوحة التي مالها من هاج ، ولا عدمت عند الحمام هذا النصير ولا عاقني عن إرادة التحليق بمطالها تقصير ولازالت أمحوا بها اية ليلة الشعر واخلع بها بعد ثياب البدن ثياب الوضر ، وأتنعم بها حسناً لها من جامها في كل ناحية ومن وجههـا قمر ، ولا يخفى أن الرأس يروي الآن عن الأشعث أبي الشعثا[31] أخبـاره

---

(٢٧) زيادة «ح»

(٢٨) من هنا إلى آخر الفصل ليس في «هـ» و«ت»

(٢٩) هو الشاعر الاديب إبراهيم بن عبد الله القيراطي شاعر له ديوان بعنوان مطلع النيرين توفي سنة ٧٨١

(٣٠) هو من شعر ابن فضل الله العمري وقد سبق وروده في موضع سابق

(٣١) أشعث بن أبي الشعثا سليم الأسود المخاربي راوية يروي عن الاسود بن يزيد توفي سنة ١٢٥ «خلاصة الخزرجي ص ٣٨»

والجسد كأنما كانت على أب وزير[٣٢] المعتصم أطمارة فالأولى أن تلقى وتعتاض عنها بما هو أنقى ، ومولانا أجل ساع في إسداء معروف وأعظم داع إلى إنعام مالوف فلازال ماء بحر إحسانه الطهور سالماً عن الخوض ، وخزانة فضائله الجمة محروسة الجناب بجاه صاحب الحوض والسلام* .

ولما كتب بعض الاخلا الاجلاً في شهر الحجة الحرام سنة سبع وعشرين ومئة وألف سنة يستدعيني إلى الحمام بمدينة شبام كوكبان وكنت إذ ذاك في شغلة فاعتذرت إليه عن التخلّف ووعدته بدخوله الحمام صحبتي صبح يوم خميس ونبهت عليه أن الخروج منه إلى داري قصداً للمخالَله والمحاورة والاجتماع على الأنس والمذاكرة فكتبت إليه ما لفظه :

مولاي الذي اتّزر بالمعالي الجليلة فلم تخف بلبسها بعد أن خلع عن جسده ثياب الدنايا وحاشاه من لبسها وصَبَّ من بلاغته معتَّق الجام وكرر في الصدر من مواكب الأدبا بلاء إسراج ولا إلجام المراجع لمن بدأه بصهباء الأقداح الدائرة على الاخوان لا الدائرة التي تنداح ، وصلني رسولك مستدعيا لي إلى الحَمَّام المتّقد لما اخترتني لمنادمتك فيه اختيار المنتقد ، كيف لا أسعى إليها على الراس لا على القدم ولا يعروني عند التأخر عن المبادرة إليها التأسف والندم ، ولكن ماذا أفعل وماذا أصنع وقد منعني وأنا أحمد عن الصرف لهمتي الى الوصول ما يمنع ، تالله مالي إلى التخلف رغبه ، ولا أود أن أتناول من مائه المالح نَعْبه لكن الرياح كما علمت تجري فلا أزيدك صانك الله جلأ لعذري والله يهنئك ذلك الانتعام ويخصك بالاستراحة ما بين خاص وعام حتى يستقيم خدم لك كأغصن البان ويشدوا مآزرهم من اردافهم على الكثبان ، كثبان من لب الكافور السحيق وقد انتظم على ثغورهم العرق إنتظام الحبب على الرحيق . وهم بين يديك صفوف يحفونك بين الجهات الأربع أحسن حفوف ، فلو تَرَكْتني الأشغال وأعرضت عن قصد صدري في صدر الحمام بالايغال لكنت لك في نعيمك مساهماً مستمطراً من عارض المليح لغيث رشح قدهما يختص بخدمتي منهم غلامان ويمونني منهم

---

(٣٢) يعني به محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . ويريد أن يقول أن اطماره متسخة كاطمار الزيات   كاطمار الزيات (*) انظر هذا الإستدعى في مطالع البدور ج٢ ص ٨١٧

مليحان ، ما خاف كل واحد منهما في الخدمة والأمان كيف لا أشتاق إلى ذينك الغلامين وقد تنزها عن كل عيب ومين أم كيف أتخلّف عنهما في ذلك الحمام ولا أشتاق من خديهما ، الى اشتمام ماء الورد ومن عذاريهما إلى استنشاق مستقطر النمام ، أنتظر خدمتهما فما عنها قطياس وقد أمرّ الأكياس من الندماء على السادة الاكياس وهما إذ ذاك يخوضان في خدمتي الطف خوض ، وقد نبأني اللطيف أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض أبى الله أن أتخلف لغير عذر جلي أو أن أتقاعد على إلتقاط الدر من العرق وقد أنتظم نظم الحلي وأنفر عن الغزالين كنفور الغزال ولا أبرح في الغي من صدودي عنهما ولا أزال ، وإني لا أرضى بدوران الأقداح بأيديهما مملوة بخمرة السرور ، أو أني لا أسعد أن يمر الكف المترف على جسدي ألطف مرور ، أو أن موسى وليس بالكليم ولا الكلم إذا لم يمسح على راسي فيسلخ الليل عن النهار منه ولا ألم ، أما يشوقني الاتكا من ذلك الحمام في مخلعه ، وقد حنت على بركته من الشاذروان مقومات أضلعه وهو يلفظ من فيه قضبان الفضة المجلوّة فتنكسر عند الوقوع وإذا هي لآلي العقود التي منها نحور الغانيات مملوَّة فاقبل أيدك الله عذري فقد علمت إني في حبك عذري أشتاق إلى الإجتماع بك ولو على اللظى ، وأميل إلى مجالسك ولو على جمر الغضى فجهنم عندي مع منادمتك فيها جنة نعيم فأنا الكفيل لك بالاجتماع في الحمام وانا الزعيم فيوم الخميس إن شاء الله تعالى وهو النيِّر كما قال الحريري - نجتمع ولحديثك من الصدر في الصدر أستمع وجميع توابع الحمام علي ففوض الأمر في لوازمه إلي ومن تلك اللوازم أن الغدا في داري وكوس شراب السكر النعماني مطفئة فيها لزندي الواري . فقد أسند ابن السمعاني عن يوسف بن عبد الأعلى في الأخبار التي يقابل مضمونها بالامتثال عند الاملا انه قال اخبرنا وهب الطيب أمَّا وأبَا قال سمعت مالكاً يقول من أدخل رجلاً الحمام وجب عليه غذاه شاء او أبى فإنّي قد شئت في ذلك ولا أباه وتحملت عنك ولا أقول تحملت أعباه فان المحمول خفيف والضيف بحمد الله عفيف يقبل اليسير ويجبر الخاطر الكسير فابن على هذا الأمر الذي أعربت عنه لساني وتأهب حرسك الله لما نبهتك عليه بناني في بياني فانتبه ايها الأريب اليس الصبح بقريب فالمقصود الإجتماع أوّلاً وبالذات وما ذكرته لك ثانيا وبالعرض من جميع اللذات والسلام .

فصل في الكلام على أشياء متفرقة

ولكنها مع تباينها ببعضها البعض متعلقة ، لكونها لا تخلو عن ذكر الحمام أو ذكر داخله ولا يتعطل عن تناسب الاستطراد بمشابهة ومشاكلة .

[اعلم ان هذا الفصل بابه واسع وحصر الواجب إيراده فيه مطلب شاسع ، فان قضاياه جَمّه عند أرباب المنطق من كاتبي النوادر الشاردة فيه . وايراد ما يكتفي به مقتفيه ، فالاختصار أليق بنا فلنبن ما أوردنا فيه من الايجاز على أصح بنا لاتساع الباع فيه ، فيما يختاره المؤلف ويصطفيه ، والمراد الأخذ من ذكر متعلقات الحمام بالأمّة الوسط ، لا بتفريط فيعد من الخلل ، ولا بافراط في الايراد فيفضي إلى الملل فإن هذا التأليف مقصور على نمط واحد ، وهو ذكر الحمام وما يتعلق به فقط وإن تنوعت فيه الأصناف وتعددت في ذكره الأطراف والأوصاف ، وليس هذا الكتاب كسائر الكتب المصنفات ، المتنوعة علومها ، المتعددة حدودها ورسومها فسنذكر في هذا الفصل نموذجاً صالحاً مما يعذب بحره في الطعم فلا يكون مالحا .

قال الحكيم بدر الدين حسن بن زفر المتطيب الإربلي(١) رأيت(٢) ببغداد في دار الملك شرف الدين هارون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني حَمَّاما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفَّت به الأشجار والأنهار(٣) فأدخلني إليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشي الإربلي وكان سائس هذا الحمام خادماً حبشياً كبير السنّ والقدر ففرجني(٤) في

---

(١) أديب وطبيب رحل إلى فارس واستوطن دمشق توفي سنة ٧٢٦ «الأعلام ج ٢ ص ١٨١»

(٢) انظر هذا بنصه في مطالع البدور للغزولي ج ٢ ص ٨ ومع الطيب ج ٣ ص ٣٤٨

(٣) في مطالع البدور بدل الأنهار الازهار

(٤) في نفح الطيب فطاف بي عليه وأبصرت

مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذة من الفضّة المطليّة بعضها بالذهب وبعضها على هيئة الطائر إذا خرج منه الماء صوّت بأصوات طيبة . ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والماء[٥] يخرج من سائر الأنابيب الى الأحواض ومن الأحواض [ترمي جميعها[٦] إلى بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج إلى البستان ثم فرجني[٧] في خلوة نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها أحسن[٨] عن اختها ثم انتهى[٩] إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل من حديد ففتحه ودخل إلى دهليز طويل مرخم بالرخام الأبيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس [إذا كانوا قياما[١٠]] وإذا كانوا جلوسا ورأيت من العجيب في هذا الخلوة ان حيطانها الأربع مصقولة صقالاً لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في أي حائط شاء منها . ورأيت أرضها مقصورة[١١] بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبّة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر وأما الأخضر فقيل[١٢] انه حجارة تاتي من الروم وأما المذهب فهو زجاج ملبس بالذهب [وتلك[١٣]] صوراً في غاية الحسن والجمال وهم على هيآت مختلفة وهم بين فاعل ومفعول به إذا نظر الانسان[١٤] إليهم تحركت شهوته وقال لي الخادم هذا صنعوه هكذا لمخدومي[١٥] حتى إذا نظر إلى ما يفعله هؤلاء [بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدي][١٦] بعضهم على اعجاز بعض يتحرك شهوته

---

(٥) نفح الطيب «المياه»
(٦) ساقط من النفح
(٧) النفح «أراني نحو عشر خلوات»
(٨) النفح «من»
(٩) النفح بزيادة «بي»
(١٠) ساقط من النفح وفي المطالع «إذا كانوا قعود او تسع اثنين او كانوا جالسين .
(١١) النفح مصورة
(١٢) النفح فيقال
(١٣) ساقط من الاصل وفي النفح وتلك الصورة
(١٤) النفح «المرء»
(١٥) النفح «هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي»
(١٦) ساقط من الأصل وثبتناه من «نفح الطيب» .

سريعاً فيبادر الى مجامعة من يحب . قال وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت إليها مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك أن يجتمع بأحد من مماليكه أو خدمه الحسان أو جواريه أو نسائه في الحمام ما يجتمع به إلاّ في هذه الخلوة فانه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل واحد منها صاحبه على هذه الصفة . ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعَلَمه[١٧] مركب في صدره أنبوب آخر برسم الماء البارد والأنبوب الأول برسم الماء الفاتر . وعن يمين الحوض ويساره عمودان[١٨] صغار منحوتة من البلّور توضع عليها مباخر الند والعود ورأيتها خلوة شديدة الاضاءة مفرحة بديعة قد انفق عليها أموالاً كثيرة . وسألت الخادم عن هذه الحيطان المشرقة المضيئة من أي شيء صنعت فقال ما أعلم فما رأيت في عمري ولا سمعت باحسن من هذه [الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع أني ما احسن ان أصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى][١٩]

روي[٢٠] أن علي بن موسى الرضى رضي الله عنه كان يميل لونه الى السواد لأن امه كانت أمة سوداء وكان له بنيسابور على باب داره حمّاماً وكان إذا دخل الحمام فرغ له فدخل ذات يوم فأطبق الحمامي باب الحمام ومر الى بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فرأى علي بن موسى عليه السلام فظن أنه بعض خدم الحَمَّام فقال قم فاحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما . فلما خرج علي بن موسى وسأل عن الحمامي قيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب ليس الذنب له انما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء .

ذكر بعض المترجمين للشيخ الامام الحافظ الزاهد الورع محي السنة إمام وقته ابي زكريا يحيى بن شرف الدين بن مر بن حسن بن حسين بن محمد النووي

---

(١٧) في النفح وعليه أنبوب مركب

(١٨) النفح «عمدان»

(١٩) ساقط من أصلنا واستكملنا من نفح الطيب ج ٣ ص ٣٥٠

(٢٠) هنا يبتدي النقص في «ح»

الشافعي الدمشقي رضي الله عنه وأعاد من سره المولود في العشر الأواخر من شهر محرم سنة إحدى وثلاثين وستمئة بقرية نوى من قرى دمشق المحروسة والمتوفى بها ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رجب الأصب سنة ست وسبعين وستمئة . انه كان متقشفا ورعاً صابراً على خشونه العيش لا يدخل الحمام ولعله ما دخله مدة حياته رضي الله عنه .

ذكر بعض المترجمين للسيِّد الإمام العلامة صاحب التآليف المفيدة والمصنفات العديدة الهادي بن ابراهيم بن علي المرتضى المعروف بابن الوزير(٢١) ، رضوان الله تعالى عليه ورحمته ، انه توفي في حمام (ذمار)(٢٢) في سابع أو تاسع ذي الحجة الحرام سنة إثنتين وعشرين وثمانمئة فجأة وهو صائم ، من أول العشر ودفن في ضَيْعة (ضنبر) غربي مدينة ذمار قريبا من العمودي .

وللفقيه عبد الله المزاح(٢٣) الشاعر المشهور فيه مرثية منها قوله :

مات الندى وثوى لسان النادي	ونعى إلينا ديمة الوراد
فالنوم لا يلقى العيون لأنه	قد ضل عنها منذ مات الهادي
أيقال أن حمامه حَمَّامه	كلا لقد كانا على ميعاد

وذكر بعضهم أن عبد الله بن المعتز العباسي كان من أفاضل عصره وآيات دهره لما ادركته حرفة الأدب تنغص عيشه فبويع له بالخلافة وظَنَّ ان الزمان قد عطف على فضله ، ورق له ماحواه من نبله ، فلم يتم له أمر الخلافة إلاَّ يوماً واحداً ، ثم قبض عليه وأدخل الحَمَّام حماماً حادّاً حتى عطش عطشاً شديداً فجيء إليه بماء الثلج وكلف شربه فشربه فمات من حينه وقيل في أمره غير هذا(٢٤) .

---

(٢١) من أفاضل العلماء من مؤلفاته (نهاية التنويه) و(الجواب الناطق) انظر ترجمته في طبقات صلحاء اليمن ص ١٨ ومطلع البدور وكتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ١١٧»

(٢٢) هو المعروف بالحمام السعيدي «تاريخ البريهي ص ١٩»

(٢٣) هو عبد الله بن محمد المزاح من ادباء اليمن في ذلك الوقت انظر ترجمته في كتابنا (مصادر الفكر الاسلامي في اليمن) ص ٣٢٦

(٢٤) حول وفاة المذكور انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ ووفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٥٨ ط بولاق

قال بعض المؤرخين أن محمد بن جعفر أمير المؤمنين المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم اخذ بعد خمسة أيام من المبايعة له بالخلافة وأدخل الحمام وعطش وطلب الماء فمنعه القوم من ذلك حتى أغمي عليه فأخرجوه وسقوه بماء الثلج فشربه وسقط ميتا(٢٥) .

(حكاية) قيل ان ابن سبعين(٢٦) المشهور الذي كان يعرف بصنعة الكيمياء ويرمى بالزندقة خرج من وطنه وهو إبن ثلاثين سنة وخرج معه جماعة من الطلبة والأتباع فيهم الشيوخ وفيهم الشبّان ولما أبعدوا عشرة أيام أدخلوه الحمّام ليزيل وعثاء السّفر ودخلوا في خدمته وأحضروا قيّماً وأخذ يحك رجليه ويسألهم عن وطنهم لما استغربهم فقالوا له نحن من (مرسيه) فقال القيم من البلد التي ظهر فيها الزنديق إبن سبعين فأومأ اليهم إبن سبعين أن لا تتكلموا فقال نعم فأخذ يسبّه ويلعنه وإبن سبعين يقول إستقص في خدمتك وذلك القيم يزيد في اللعن له والشتم إلى أن فاض أحدهم غيظاً ، وقال له ويلك هذا الذي تسبّه قد جعلك الله تحت رجليه وأنت في خدمته فسكت القيم خجلاً وقال أستغفر الله .

حكاية أبو الطاهر اسماعيل الملقّب المنصور بن القائم المهدي صاحب إفريقية رحل إلى مدينة حلولا ليتنزّه بها وهي موضع كثير الثمار وفيه من الأترج ما لا يرى مثله في عِظمه يكون فيه شيء يحمل الجمل منه أربع أترجات فحمل منه إلى قصره وكان للمنصور جارية حظيّه عنده فلما رأته استحسنته وسألت المنصور أن تراه في أغصانه فأجابها إلى ذلك ورحل بها إليه في خاصته وأقام بها أيّاماً ثم عاد إلى «المنصوريه» فأصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر ، ودام عليه فصبر وتجلّد وكثر عليه الثلج فمات جماعة من الذين معه واعتل المنصور علة شديدة لأنه لما وصل المنصوريه أراد دخول الحمام فيها فنهاه طبيبه إسحق بن سليمان الاسرائيلي فلم يتوقف عند نهيه ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزيه

---

(٢٥) أنظر ترجمته وما قيل في وفاته الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٦٤ ط بولاق

(٢٦) من الصوفية الكبار وهو عبد الحق بن ابراهيم ابن سبعين من أهل مرسية بالاندلس عرف بالقول بوحدة الوجود وكفَّرَة لهذا جماعة من العلماء توفي بمكة سنة ٦٦٩ «الاعلام ج ٣ ص ٢٨٠»

ولازمه السهر فأقبل اسحق يعالج المرض والسهر باق بحاله فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض الخدم أما في القيروان طبيب غير إسحق يخلصني من هذا الامر ، فقيل ها هنا شاب قد نشأ الآن يقال له إبراهيم فأمر باحضاره فحضر ورفع إليه حاله وشكا إليه ما به فجمع له أشياء منوّمة من شمها نام فخرج إبراهيم مسروراً بما فعل ، وبقي المنصور نائما فجاء إسحق فطلب الدّخول إليه فقيل هو نائم فقال كأنّ صنع له شيء ينام به فقد مات ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتا فدفن في قصره ، وأرادوا قتل إبراهيم فقال إسحق ، ماله ذنب إنما داواه بما ذكره الاطباء ، غير انه جهل أصل المرض ، وما عرفتموه ذاك وذلك إني كنت في معالجته أنظر في تقوية الحرارة الغريزية وبها يكون النوم فلما عولج بالاشياء المطفية لها علمت انه قد مات .

دخل السلطان الملك المظفر(٢٨) ابن المنصور يوسف الرسولي الحمام في «تعز» المحروسة ، فورد عليه البشير ، بقتل الامام السعيد الشهيد احمد بن الحسين(٢٩) عليه السلام بشوابه(٣٠) فلم يتم أعمال الحمام لشدة المسره معه بل خرج وشعره ، مخضوب رطب ملفوف بمنديل وسارع بالبروز لأخذ الحقيقة من الرسول الذي ورد عليه بالبشارة .

دخل محمد بن جامع(٣١) الصيدلاني إلى الحمام وهو اذ ذاك غلام جميل فلما خرج منه نظر وجهه في المرآة فأعجبه ما رأى من حسنه ونداوته عقيب الحمام فركب الى أبي بكر بن داود وكان أبو بكر يحبه ويميل اليه فلما راه ابو بكر مقبلاً

---

(٢٧) هو اسماعيل بن محمد بن عبد الله المهدي قام بالمهدية وبنى مدينة بالقرب من القيروان سماها المنصورية توفي سنة ٣٤١ «الاعلام ج١ ص٣٢٢» .

(٢٨) هو المظفر يوسف بن عمر الرسولي تولى الحكم بعد مقتل والده ، سنة ٦٤٧ وتوفي سنة ٦٩٤ .

(٣٠) موضع بالقرب من هران صفة ص ٢١٧ .

(٢٩) هو الامام المهدي احمد بن الحسين وفاته سنة ٦٥٦ «انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٥٤٨»

(٣١) انظر انباره في تزيين العشاق ج٢ ص ٣٣٣ ط حمدو .

ووجهه مغطى خاف أن يكون قد لحقته افة فقال له ما الخبر فقال رأيت وجهي السّاعة بعد الخروج من الحمام وفيه نضارة وعليه من العرق غضارة فغطيته واحببت أن لا يراه احد قبلك فغشي على أبي بكر بن داود .

دخل بعض الندماء اللطفاء حمامًا من حمامات (صنعاء) اليمن المحروسة فصادف فيه رجلا يعرف بالانهماك في شرب الخمور فجعل يذاكره في صدر الحمام من الخمرةويتنى عليها ويمدحها وهو يجاريه في مقالته سلوكا في طريق المساعدة التي لا يسلكها إلا الظريف من الناس وهو بمعزل عن الخمرة والميل إليها فنظمت أنا اصف الواقع مع زيادة عليه وقلت :

دخل الحمام عريانا وحافي ونديم فيه لطف زائد
صادف الخمار فيه قائلا لاشتياق الخمر قد حان تلاقي
فللطف الطبع جاراه على مذهب منه ولم يبد التنافي
قال والأقداح ما بينها من يدي بدرٍ جميل في إختلاف
شنف الكاس فهذا عرقي قد جرى عصرا وهذا الجو صافي

دخل بعض أزواج الخلفاء الحمام فلما خرجت منه نظرت وجهها في المراة فاستحسنته مع نداوته من العرق فكتبت على حائطه :

انا التفاحة الصفرا عليها الطل مرشوش

فلما جاء أبونواس الحمام نظر هذا البيت مكتوبا على حائطه فكتب تحته :

بفرج عرضه شبر عليه العهن منفوش

دخل شخص الحمام فراى فيه الشيخ ابا الحسن علي بن الحسين بن المنصور الحريري الذي كان يرمى بالزندقة ومعه صبيان حسان ، بلا مازر فجاء اليه وقال له ما هذا فقال ليس سوى هذا ، وأشار الى أحد الصبيان أن تمدد على وجهك فتمدد فتركه الرجل وخرج هاربا مما رأى .

دخل بعض المغفّلين الحمام فلما خرج منه ضربته ريح باردة فتقلصت إحدى بيضتيه فمسّها فلم يجدها فرجع الى الحمامي وقال له فقدت إحدى بيضتي وجعل يفتش الناس في صدر الحمام واحدا واحدا ثم انه دفي من فور الحمام

فرجعت بيضته إلى اسفل فلما وجدها فرح وقال الحمد لله ما لا تأخذه يد لا يفقد .

دخل بعض المفرطين في طول القامه حماما فلما استلقى في صدر الحمام على ظهره ، جعل بعض خادمي الحمام المجان يعالجه بالتغميز ونحوه من الاعمال المعهودة في الحمام فبدا في التغميز بالاعلا من اعضاء الرجل المستحم الطويل كالرأس والكتف واليدين ونجو ذلك حتى أكمل عمله وأراد ان ينزل من عند رأسه الى عند قدميه لمعالجتها بما ذكر من التغميز ونحوه فقال الخادم للرَّجل خاطرك يا سيدي فقال أين تذهب فقال مرادي انزل عند قدميك وهذه الكلمة بمحل من الإتحاف كما ترى ، فإنه أراد هذا الخادم الكناية اللطيفة ، عن إفراط الرجل في طول القامة وأن النزول ، من عند رأسه الى عند قدمه مسافة بعيدة كالسفر البعيد القاصي لأنه جرى العرف ان الانسان لا يقول لانسان خاطرك إلاّ مع عزمه إلى محل بعيد نأى فقد جعل قامة هذا الرجل بهذه المثابة .

وقد نظمت أنا هذه الواقعة فقلت :

وخدام حمام يقول لمفرط	بقامته في الطول حملني إصرا
فسافرت للأقدام من عند راسه	لعمري فهذا الطول يستوجب القصرا

اقول لا يعزب عنك ايها الفطن الالمعي[٣٢] قولنا يستوجب القصرا فإنه يحتمل أن يكون المراد ان هذا الطول المفرط من هذا الرجل خليق بانه يقصر باذهاب بعض القامة بمنشار أو نحوه ففيه كناية نكاية لطيفة ويحتمل ان المراد ان هذا الطول يستوجب القصر في الصلاة وان من نزل من عند رأس هذا الرجل الطويل إلى عند قدميه حقيقي بالقصر في صلاته لأنه قد سافر بريدا فصاعدا يرشح لهذا المقصد قولنا في النظم «فسافرت» كما لا يخفى .

وقف العتبي بباب أسماعيل بن جعفر يطلب الادن في الدخول عليه .

فقال له الحاجب : هو في الحمام .

فقال :

---

(٣٢) هـ ،لالمية .

وامـير إذا أراد طعاما قال حجّابـه اتـا الحماما
فيكون الجـوب منـي للحا جب ما ان اردت الا السلاما
لسـت اتيكم من الدهـر إلا كل يوم نويت فيه الصياما
انـي قد جعلـت كل طعام كان حلالـكم عليَّ حراما

ذكر ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى في «صناعات القواد»(٣٣) اشياء ظريفة ممن سأله عن الحرب حين قدم المعتصم من بلاد الروم وخاطبه عند سؤاله بكلام. وكان جوابه بالفاظ تناسب(٣٤).

صنعته وما هو عليه، حتى قال وسألت علي بن الجهم بن يزيد ـ وكان صاحب حمام ـ عن مثل ذلك فقال القيناهم في مقدار بيت النار فما كان إلا بقدر أن يغسل الرجل رأسه حتى تركناهم، في أضيق من باب الاتون فلو طرحت ليفة ما وقعت الا على رأس رجل وعمل ابياتاً في الغزل فكانت [قوله](٣٧):

يانورة الهجر جلوت الصفا(٣٨) لما بدت لي ليفة الصدّ
يامئزر الأسقام حتى متى تنقع في حوض من الجهد
أوقد أتون الوصل لي مرة منك بزنبيل من الودّ
فالبين قد(٣٩) أوقد حمّامه (٤٠) وهاج قلبي مسلخ الوجد
أفسد حظي(٤١) الصفا والهوى تخاله الناقض للعهد(٤٢)

(٣٣) نشرها عبد السلام هارون في رسائل الجاحظ ج١ ص٣٧٩
(٣٤) اخر النقص من (ح)
(٣٥) صناعات القواد ج ١ ص ٣٨٨ «رسائله الجاحظ».
(٣٦) المطبوعة (في مثل بيت الأنبار).
(٣٧) ساقط من مطبوعة رسالة صناعات القواد.
(٣٨) المطبوعة (حلقت الصفاء).
(٣٩) المطبوعة (مذ).
(٤٠) المطبوعة «قد هاج».
(٤١) المطبوعة «خطمي».
(٤٢) انظر الأبيات في صناعات القواد ١٦ ص ٣٨٨ ط عبد السلام هارون.

[قلت قوله في هذا الكلام المنثور «حتى تركناهم في أضيق من باب الاتون» وقوله في النظم «أوقد أتون الوصل لي مرة» البيت. الاتون بفتح الهمزة وتشديد التاء والمثنيه الفوقية المضمومة بعدها واو ساكنة ونون ، كالتُّنور وقد تخفف التاء وتخفيفها هو المستعمل هنا في النظم لئلاً يختل وزن الشعر . وهو الاخدود المتخذ لايقاد النار في الحمام الذي يقال له الآن الملّة ، والاتون ايضاً الاخدود الجيّار والجيار بفتح الجيم وتشديد الياء المثنية التحتية بعدها الف وراء وهو «الصاروج» ، والصاروج بفتح الصاد المهملة المشددة والراء والجيم وهي النورة واخلاطها فارسي معرب . والاتون ايضاً اخدود الجصَّاص جمعها اتن بضم الهمزة والتاء ايضاً واتانين إنتهى][٤٣] .

ذكر القاضي العلامة الاديب شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي[٤٤] المصري/ رحمه الله تعالى في المجلس الخامس عشر من كتابه المسمى «طراز المجالس»[٤٥] انه كان بالمدينة رجل يعرف بشيطان الحمامات كان يقدم على الناس فيها باصطناعِ الفواحش وكان ظريفاً وله شعر منه قوله :

إذا درنت جلودهم أتوني   وفي قربي من الدرن الدّواء
فما تنفك فقحة ذي امتناع   تصافحني وقد كشف الغطاء

لما عمر الحمام المبارك بمحروس مدينة شبام كوكبان اليمن المنيف وتمت محاسنه وكملت على احسن الوجوه ، وكان القاضي الفاضل الامام الحافظ شيخ الاسلام إمام الترسل الذي يعظم به إلى اقتباس الشوارد التوسل وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد الحيمي[٤٦] رضي الله عنه قد قال في خطاب من كان ذا هجٍ بسكنى مدينة صنعاء اليمن المعمورة المحمية نظماً وهو قوله :

---

(٤٣) ساقط من «هـ» و «ت» .

(٤٤) هو المعروف بالشهاب أديب مصري توفي سنة ١٠٦٩ «الاعلام ج : ١ص٢٣٨»

(٤٥) هو من الكتب العلمية النادرة طبع في مصر سنة ١٢٨٤ ولم أقف عليه .

(٤٦) هو من علماء الحديث وغيره نبغ عليه جمع من العلماء توفي سنة ١٠٦٨ «مصادر الفكر الاسلامي ص ٥٦» .

صنعاء إذا كنت مشغوفاً بمسكنها فاعدد لها من ذوات الحاء مارسما
حَبٌّ وحِبٌّ وحمام مع حطب حظيرة وحمار حرفة وحمى[٤٧]

نظر مولانا الوالد الامام قاضي القضاة جمال الدين محمد بن الحسن بن احمد الحيمي الكوكباني رحمه الله تعالى إلى شبام المحمية بعد تمام عمارة الحمام المذكور بها وعلم ان بتمام عمارته تمت محاسنها وبكمال اعماله كملت فضائلها فقال رضي عنه كما انشدنيه من لفظه لنفسه :

عج شباماً ذات الرياض النظيرة وتأمل أرجاءها المستنيره
إن تردها أو أن تردها فما انـ ـت ترى للنضير فيها نظيره
دع جنان الدنيا جميعاً ولاتذ كر لديها خورنقاً وسديره
كملت بالحمام فيها ذوات الحـ ـاء لم يبق غير حاء الحظيره

«لطيفة»[٤٨] القاضي العلامة المفيد الاديب شهاب الدين احمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال[٤٩] رحمه الله تعالى من افاضل عصرنا وصدور دهرنا ، له من اللطائف الأدبية ، نكت عجيبة ، وطرائق غريبة ، دخل بعض الحمامات ، صحبة المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين اسماعيل بن القاسم عليه السلام ، وولده الامام الزاهد العابد المولى امير المؤمنين المؤيد بالله محمد بن اسماعيل عادت بركاته فتثبط عن الدخول بعدهما قليلاً ثم دخل فوافاهما في المغطس ووجدهما قاعدين فيه والماء قد وارى جسديهما الشريفين . ولم يبد له منهما غير وجهيهما فقط والماء يفيض من جنبات المغطس .

فقال بديهة : وفي الراكد الفائض وجهان ظاهران وهذا كما تراه كلام لطيف مناسب للمقام استحضره من كلام الامام المهدي لدين الله احمد بن يحيى عليه السلام في كتاب «الأزهار» في الفقه لأنه قال فيه وفي الراكد الفائض / وجهان[٥٠] أي في الماء الراكد وهو نحو غدير في شط نهر فيه ماء قليل وهو يفيض

(٤٧) أوردهما المؤلف في كتابه طيب السمر «ح» .

(٤٨) بداية النقص في «ح» .

(٤٩) هو الأديب والعالم المورخ من مؤلفاته (مطالع البدور) وغيره توفي سنة ١٠٩٢هـ

(٥٠) الأزهار ص ١٧ .

فوقعت فيه نجاسة لم تغيره ففيه عند الفقهاء وجهان من الاحتمال احدهما انه نجس لقلته وعدم جريه الثاني انه طاهر الا المجاور لأن الفيض فيه بمثابة الجريان والماء الجاري طاهر ، فانظر . ما اظرف بديهة القاضي شهاب الدين رَحِمَهُ الله تعالى مع لطف الزيادة منه في كلام الازهار بقوله طاهران لأن في ذلك غاية التأدب لهذين الامامين الطاهرين عليهما السلام فمعناه انه لم يكن في احد الوجهين وجه نجس كما اراد الامام المهدي عليه السلام وانما هما جميعا طاهران مع صرف الوجهين في قول الامام المهدي وجهان عن مراده إلى الوجهين تثنية وجه ، وهو معروف من الانسان وغيره فلله دره من ظريف لطيف .

(فائدة) سألني بعض المستفيدين في عصرنا هذا وذلك في شهر محرم الحرام احد شهور سنة ثلاثة وعشرين ومئة والف عن قول الشاعر :

إنـي لأكره علماً لا يكون معي إذا خلـوت به في جوف حمام

وقال لِم خص ناظم هذا البيت الخلوة في جوف الحمام دون غيرها من سائر الخلوات فقلت له انما خص الخلوه في جوفه لأن المقام مقام تخل وتجرد عن كل شي ليس ليس مع الانسان فيه إلا مئزر مبلول بالماء والعرق فهو مع ذلك الحال متجرد عن ملابسه جميعا مما يظن ان في جيب احدهما قرطاسا قد رقمت فيه مسائل من العلم ربما راجع نظره فيها ولأنه أيضا مع الخلوة في جوف الحمام لا يمكن منه ان يستدعي كتابا من الكتب لينظر فيه إذا عرض له بحث من المباحث العلمية لأن المانع من الاستدعاء حاصل وهو الصيانة للكتاب والاشفاق عليه من البلل فهو مع هذه الاوصاف التي ذكرنا/ قد حيل بينه وبين الكتب والاوراق فهو لا يرجع من العلم بالضرورة إلاّ إلى ما في صدره ، فإن كان علمه مقرراً راسخاً فهو معه في جوف الحمام وإن كان غير مقرر ولا راسخ فقد تجرد عنه بدخوله الحمام كما تجرد عن ثيابه والاته ، وبما ذكرناه يظهر حسن اختيار ناظم البيت لذكر الخلوة في جوف الحمام لأن سائر الخلوات في غيره لا يحصل به من الموانع عن استدعاء الكتب والأوراق ما يحصل مع الخلوة في الحمام إلاّ أن يكون مثلاً يسبح الانسان في بحره أو نهر فإنه يحصل من المانع عند سبحه ما يحصل مع الخلوه في جوف الحمام ، هذا ما ظهر للخاطر من معنى البيت والله اعلم .

ولما سمع بعض مجّان الأدباء رجلاً يقـول لرجـل آخـر لا خـير في علـم لا يدخل مع صاحبه الحمام قال له نعم إلاَّ انه إذا لم يكن معه دانق يخرج به بقي رهناً .

(سؤ ال) مسلمون ونصارى ويهود ، وجملتهم عشرون دخلوا حمّاماً ووزنوا عشرين درهماً المسلم وزن نصف درهم، والنصراني وزن درهمين واليهودي ثلاثة دراهم كم كان عدد كل منهم .

الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد .

تحفة : اعجبني قول القاضي العلامة الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري رحمه الله مؤلف الريحانة وغيرها في بعض رسائله مما جرى به مجرى المثل وهو ما لفظه :

ومؤمل النفع من اللئام كزارع السمسم في الحمام وكنت منفعا من دولته انتفاع ناكح عروس في الأحلام ، هب من نومه بجنابه واجره لحمام[٥١] .

---

(٥١) في الريحانه ج ٢ ص ٣٥٦ «وكداخل بعروس في المنام لزمته في السحر جنابه وأجرة الحمام» .

فصل في الكلام على ما ينبغي للخارج من الحمام أن يفعله

وما ينبغي له أن يجنب[1] عقيب خروجه وفي ذكر ما ينبغي من تهنئيه الحمام .

وبهذا الفصل نختم هذا الكتاب اللطيف :

أما ما ينبغي له أن يفعله فأمور :

منها أن يخرج من الحمام تدريجاً بشرط تبريد الأطراف بالماء البارد

ومنها : أنه متى فرغ من الحمام شكر الله تعالى/ على نعمته فقد قيل ان الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل الإنسان عنه .

ومنها : أن يستغفر الله تعالى ويصلي ركعتين فقد قالوا يوم الحمام يوم إثم .

ومنها : أنه يسن له الغسل [أما في الحمام أو في غيره وذلك قبل صلاة فرض][3] كما نص عليه الفقهاء في كتبهم .

[روي عن مجاهد عن علي عليه السلام أنه كان يغتسل من الإبط والحجامه وماء الحمام انتهى[4]] والمذهب انه لا فرق بين أن يكون الحمام للعرق ولا ماء فيه او للعرق مع وجود الماء فيه نص عليه الفقيه الإمام العلامة نور الدين يوسف بن احمد بن عثمان رضي الله عنه .

وقال الفقيه يحيى إنما يسن بعد الحمام إذا كان للعرق ، ولا ماء فيه والصحيح الأول وهو الذي بنى عليه الإمام المهدي عليه السلام في الأزهار لأن ظاهر عبارته فيه الإطلاق [وعن جابر مرفوعاً نهى أن يغسل البدن بشيء يؤكل[5]] .

---

(١) هـ و ت يجتنب .

(٢) «ح» ليس .

(٣) ساقط من (هـ) و (ت) .

(٤) ساقط من (هـ) و (ت) .

(٥) ساقط من (هـ) و (ت) .

ومنها أنه يرش[٦] جسده بالماء البارد [فانه ينعش القوة المسترخية من الكرب ، ومن لهيب الحميات وعند الغشي وخصوصاً بماء الورد وبالخل وربما صحح الشهوة وآثارها ويضرّ أصحاب النزلات والصداع .

وأما غسل قدميه ووجهه بالماء البارد[٧]] فقد قال الإمام المجدد جلال الدين السيوطي الشافعي رضي الله عنه [في كتاب الجامع الصغير روى ابو نعيم في الطب عن ابي هريرة رضى الله عنه[٨]] عنه صلى الله عليه وآله وسلم .
غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام امان من الصداع انتهى .

وقال بعض الحكماء غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج [من الحمام أمان من النقرس وقيل غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج[٩]] من الحمام يقوي القدمين ويشدها ويحفظ جوهرها . ولذا قال جالينوس / الإغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوي الأعضاء حتى ان القوى الجوهرية التي في الأعضاء [تحتفظ[١٠]] ولكن ينبغي أن لا يكون استعمال البارد عقيب الحار بغتة بل بتدريج فيستعمل الماء أوّلاً ممزوجاً / بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد .
وقال بعض الحكماء أن غسل الوجه بالماء البارد عقيب الخروج من الحمام يبقى طراوته مع كبر السن .

ومنها تنظيف ما يجتمع من الوسخ في معاطف أذنيه ومسح ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ ولكن يفعل ذلك برفق لأن كثرته مما تضرّ بالسمع .

ومنها ان يسكن في المسلخ - أي في المخلع - ويتكى ويستلقى ويستريح ويطمئن ويطيل النظر في التصاوير اللطيفة في جدراته من الأشجار والأزهار فانه من المنعشات المقويات لا لو كانت التصاوير من صور الحيوانات التي يجب

(٦) (هـ) و (ت) «يغسل» .
(٧) ساقط من هـ و ت .
(٨) ساقط من «ح» وانظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٧١ .
(٩) ساقط من «ح» .
(١٠) ساقط من «ح» .

تغييرها ، المعدود وجودها من المنكرات فقد تقدم الكلام أن السكوت على ذلك لا يجوز وأنه يجب تغييره .

ومنها أن يتناول مع بقائه في المسلخ شيئاً من الأطياب العطرة كالمسك والعنبر والزباد والعود الرطب وما جانس ذلك مِمّا له رائحة طيبة منعشة مهيجة للنشاط فان الرائحة الطيبة[١١] يحيى بها النفوس وهي مع ذلك الحال اشد نفوذاً في عروق البدن لأن العروق متفتحة فهي كالطرق لسلوك ذلك إلى القلب الذي هو سلطان البدن .

ومنها أن يلبس [القماش[١٢]] من الثياب اللطيفة الناعمة فان بها تكمل اللذّة وتتم النعمة لأن البدن مع ذلك لا يقدر على ملامسة ما خشن من الثياب .

ومنها ان يتدثّر بالأدفئه التي تمنع البرد أن يتصل بالبدن فان نكاية البرد للبدن عقيب الحمام نكاية شديدة .

ومنها أن يلبث في المسلخ قدراً من الزمان فلا يعجل بالخروج فوراً فربما باشرته الرياح الباردة فتضر جسمه مع الحرارة وربما صكت سمعه فيصيبه الصمم مع تفتح المسام/ وربما [اصابت[١٣]] جسده أمراض يعسر علاجها .

ومنها أن يخرج إلى دار فيها فراش أنيق لين الجوانب ناعم الملمس غير خشن وإذا كانت تلك الدار في منتزه من الرياض ومفرج من الغياض فهو أتم للنعمة وألذ للنفس وأقر للعين .

ومنها أن لا يؤخر الطعام عقيب خروجه سيما إذا كان دخوله الحمام على الريق ، قال الامام الشافعي رضي الله عنه عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت[١٤]

---

(١١) في (هـ) و (ت) «مما تحيا» .

(١٢) ساقط من (هـ) و (ت) .

(١٣) ساقط من «ح» .

(١٤) سبق ايراد هذه القولة وقد كررها المؤلف ثلاث مرات

ومنها أن لا يتناول من الطعام إلاّ الأنيق المعدود من أطعمة المترفين الخفيف الذي لا يثقل على المعدة ولا يولد غذاء رديّاً ويشرب من الأمراق النافعة بالخاصية كمروق[١٥] الفِتي من الدجاج أو الدجاج على العموم وما يشاكلها سيما إذا كان المستحم سوداويا ومن شرط ذلك حسن صنعة الطبخ المعالج بالأفاويه ، ويجتنب المآكل الباردة بالطبع الردية كلحوم البقر ونحوها ، وينبغي له أكل الحصرميَّة إذا كان دموياً وأكل القرع إذا كان صفراويا وأكل المبزر إذا كان بلغميا .

ومنها أن لايتناول من الأشربة إلاَّ المناسب لطبعه فيشرب السكنجبين[١٦] إذا كان محروراً ويشرب ماء العسل إذا مبروداً ويشرب ترياق الأربع إذا كان ذا ريح غليظ .

ومنها النوم عقيب الخروج منه سيما في الصيف فقد قيل نومة في الصيف عقيب الخروج من الحمام تعدل شربة دواء

وقال الاستاذ[١٧] نومة بعد الحمام خير من شربة

وأما ما ينبغي للخارج من الحمام أن يجتنبه عقيب خروجه فأمور :

منها : الخروج عاريا سيما في الشتا فانه ضار جداً يؤدي الى أمراض رديئة

ومنها التنشف بالمناشف المشهورة فإنه يورث البرص لسدها المسام بوسخها ومنها ترك العوارض النفسية كالغضب والافعال الشاقة والجماع فان الجماع عقيب الحمام يؤرث الرعشة وينهك البدن ويهزله ويغير اللون ويعجل الشيب ويضعف العَصَب وربما قتل فجأة وذلك إذا كان تنبيه الشهوة فيه بالحيلة وإنعاشها بالتسبب في ذلك .

ومنها إستعمال الاشياء الباردة بالفعل لأن المسام تكون مفتوحة فلا تلبث أن تدفع البرد إلى جوهر الأعضاء الرئيسية فيفسد قواها .

ومنها صَبّ الماء البارد على الراس فانه مكروه

---

(١٥) في (هـ) و(ت) كمرق

(١٦) السكنجبين معرب عن الفارسي ومعناه خل وعسل وهو شراب «تذكرة داود ج ١/ ١٨٠»

(١٧) هنا بمعنى الحكيم .

ومنها شرب الماء فان الاطباء قدنهوا عن شرب الماء عقب أمورٍ منها عقيب الخروج من الحمام سيما إذا كان الماء شديد البرد فان تناول كل شديد البرد من الماء وغيره عقيب الخروج من الحمام يؤرث الاستسقا اللحمى وقد جمع تلك الأمور صفى الدين الحلي رحمه الله تعالى في نظم له حيث قال :

توق شرب الماء في خمسة	فانها جالبة للسقام
عقيب حمامك والنوم والا	غماء والباه وأكل الطعام

وأما ما ينبغي من تهنئة الخارج من الحمام فالأحسن أن يقال له بعد خروجه طاب حمامك اقتداء برسول الله ﷺ .

قال الامام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب «وصول الأماني الى أصول التهاني» عن الإمام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء أن من آداب الحمام التهنئة بالخروج منه . لما روي في شرح المهذب وفي الفردوس من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر[١٨] [رضي الله عنهما وقد خرجا من الحمام طاب] حمامكما لكن بيض له/ ولده في مسنده فلم يذكر له إسنادا انتهى كلامه رضي الله عنه .

قلت فإذا صح هذا الحديث عن رسول الله ﷺ فلا وجه لقول صاحب القاموس رحمه الله تعالى لا يقال طاب، حمامك يعني للمستحم كما روينا عنه في أول هذا الكتاب . لأن رسول الله ﷺ منبع اللغة الصحيحة فانه بعث بلسان عربي مبين .

[وروى العلامة بهاء الدين رضي الله عنه في كتابه المسمى بالكشكول ان الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما خرج من الحمام فقال له رجل طاب استحمامك فقال له يالكع وما تصنع الأست هاهنا قال فطاب حمامك قال إذا طاب الحمام فما راحة البدن قال طاب حميمك قال ويحك أما علمت أن الحميم هو العرق فقالت كيف أقول قال قل طاب ما طهر منك وطهر ما طاب[١٩] .

(١٨) بياض في «ح»

(١٩) قلت هذا ما كرّره المؤلف في اول الكتاب ولا غرابة في ذلك فالمؤلف أعاد تاليف كتابه في نسخة «ح فمن هنا جاء التكرار

وقال الامام النووي رضي الله عنه في كتاب «الأذكار» ما لفظه :

مسألة قال ابو سعيد[٢٠] المتولي التحية عند الخروج من الحمام بأن يقول طاب حمامك لا أصل لها ولكن روي أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه قال لرجل خرج من الحمام طهرت فلا نجست .

قلت هذا المحل لم يصح فيه شيء ولو قال إنسان لصاحبه على سبيل المودة والمؤانسة واستجلاب الوداد أدام الله لك النعيم ونحو ذلك من الدعاء فلاباس به انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى بلفظه وحروفه][٢١] .

قال بعضهم في تهنئة من خرج من الحمام وكان قد دخله لعلاج ألم فيه من الآلام :

يا مليكي هنئت حمام سعد	طالع السعد ليس يبرح عنها
بدخول الشفاء تدخل فيها	وخروج الاسواء يخرج منها .

وكتبت أنا إلى بعض الاصحاب . وقد خرج من الحمام ما لفظه : أخي طالت أيامك وطابت إن شاء الله تعالى حمامك . لقد دخلته متجردا عن ملابسك متنكراً وخرجت منه معتبراً بما جرى لك به متذكراً إذ ذكرت بالتعري فيه تجرد الانسان في الدنيا عن كل شيء يصطفيه وانه لم يصحبه من ماله غير مئزر مشدود وأقسته بجهنم وما بينهما جامع في الحرارة والوقود وذكرت بالحمامي وأعوانه فيه خازن النار وحزبه وان لم يكن بينهم في الغلظة والشدة نسبة ، لقد خرجت منه وأنت أندى من زهر الحدائق وانفصلت عنه وأنت من حرارة ناره في حُمرة الشقايق مخضوب الأطراف كذهب موّه فطليت به الفضة متحدر العرق فكأن جسدك جميعه عيون دموعها مرفضة ، فارقته ودموع مائه لفراقك تجري ، ونار صدره المتأججة تحت جوانحه تسري ، فما صفا له حوض ولا راق له بعد في ماء مغطسه من غيرك خوض فكيسه عاطل ، ودمع عرقه هاطل وحزنه يكال بالقدح وبلبل أنابيبه ما قهقه ولا صدح ، ما أنت إلا فص ياقوت أحرق فزال منه الشين وسيف أخلصه القين[٢٢] بالنار فزاد صقلا فقيل لله در القين [استبدلت عن رشح

---

(٢٠) هو عبد الرحمن مأمون المتولي فقيه شافعي توفي سنة ٤٧٨

(٢١) ساقط من (هـ) و(ت)

(٢٢) هو الحداد

العرق المنثور في الحمام ، درر الظل المنتظم في الرياض على سموط الأكمام ، وتعوضت عن أقدام المملوه بساخن الماء المحرور ببارد من سكر الأهواز الدائر في آنية البلور . وكم بين أقداح خرطت من الخشب وبين كؤس مصبوبة من الجوهر الشفاف المعدود من أنفس النشب ، خلعت الخشن من المازر المبلولة التي هي أقرب وقت عن جسد المستحم محلولة ولبست الخشن من الثياب الناشفة الساترة للعورات فليست لها بكاشفة نعمت في ملمسها حتى كادت من فوق البدن طيبة الرائحة مع نقاوة لونها عن الوضر الذي هو الدرن][٢٣] فتهن استقرارك بعد النار من الرياض في جنة واحمد الله سبحانه على مننه فكم له على عبده من منّة أقلها نُعمة الحمام وهي نعمة جنة في نار وكنز محتاج تمازجه نشوه الفرح منه ما لا تمازجه نشوة درهم ودينار لازلت في نُعيم ولا برحت نائلا لنعيم الجنة من الجحيم والسلام .

انتهى كتاب حدائق النمام بتوفيق الله واعانته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على ختام المرسلين وآله الطيبين الطاهرين .

---

(٢٣) زيادة «ح»

الفهارس

١ـ الاعلام
٢ـ البلدان والمواضع
٣ـ المفردات الطبية والاصطلاحية
٤ـ الأشعار
٥ـ الامثال
٦ـ الكتب
٧ـ الموضوعات

١ـ الأعلام (*)

٢ـ المواضع والبلدان

٣- معجم المفردات الطبية والعلمية والعمرانية والحضارية

٤ ـ الأشعار

د ـ الأمثال

٦ـ الكتب

٧- فهرس موضوعات الكتاب

تم

مطبعة الكاتب العربي
دمشق - شارع خالد بن الوليد - ت (٢١٩٢٣٨)
عبد الهادي هاشم وشركاه